تَمَـامُ المِنَّةِ

على

شَرحِ السنَّةِ

للإمام المزنيِّ

(ت ٢٦٤هـ)

تأليف

خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلا ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شُغلا، وسهَّل لهم طرقها، فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللا.

والحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل إذ لم يخلقهم عبثا، ولم يتركهم سدى، ولم يغفلهم هملا بل خلقهم لأمر عظيم؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ترك أمته على الواضحة الغراء والمحجة البيضاء فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم، وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢].

أما بعد؛ فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثا، ولم يتركهم سدى بل خلقهم لأمر عظيم(١)،﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، ومن ثَمَّ أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين؛ ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، فمنهم من هدى، ومنهم من حقت عليه الضلالة، ومن أعظم الأمور التي دعت إليها الرسل عليهم السلام الأمور التي تتعلق بالإيمان والتوحيد، إذ هو الأساس لهذا الدين، وقد انتهج نهجهم جماعة من

(١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، صـ(٣-٥) بتصرف.

العلماء الذين شرح الله صدورهم للهدى، فبلغوا عنهم أتم البلاغ، وقد تنوعت أساليبهم وطرقهم في نشر وتبليغ هذه العقيدة الغراء، فتارة يبلغونها بالتدريس، وتارة بالتأليف، فهدى الله بهم من أراد هدايته، وأضل من أراد غوايته؛ ومن أبرز هؤلاء الأعلام الذين أسهموا إسهاما كبيرا في هذا المجال الإمام المزني رحمه الله ت سنة ٢٦٤ هـ، الذي وضع هذه الرسالة التي بين أيدينا، والتي جمعت بين طياتها مختصرا لمعتقد سلفنا الصالح من الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان، ولقد تميزت بسهولة ألفاظها، ووضوح عبارتها، وسلاسة أسلوبها، والبعد عن التعقيد، وغموض الألفاظ، وقد جعل الله لها القبول، فتلقفها العلماء وطلاب العلم بالتحقيق تارة، وبالتدريس تارة، فأردت أن أدلي بسهم في هذا الشأن العظيم، فوضعت هذا التعليق المختصر عليها، فأسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

عملي في هذا الكتاب:

- ترجمت للمصنف الإمام المزني ترجمة يسيرة.
- وضعت متن الرسالة كاملا قبل الشرح.
- شرحت متن الرسالة شرحا مفصلا؛ واكتفيت بمقصود الرسالة.
- قسمت الرسالة إلى فقرات، وترجمت لكل فقرة منها بترجمة مناسبة.
- قمت بترقيم فقرات الرسالة.
- خرَّجت الأحاديث تخريجا مختصرا، فإذا كان الحديث اتفق عليه الشيخان، أو أحدهما، خرجته منهما أو أحدهما، فإن لم يكن موجودا فيهما أو أحدهما، خرجته من كتب السنن الأربعة.
- اتبعت أحكام الشيخ الألباني في التصحيح والتحسين غالبا.

- أضفت بعض الفوائد العقدية التي رأيتها تناسب المقام.
- وضعت متن الرسالة أعلى الصفحة، والشرح أسفل منه؛ لئلا يكون الشرح بمعزِلٍ عن المتن.
- وضعت أسئلة للمناقشة في آخر الشرح.

وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

٧/ ٤/ ١٤٣٥هـ

٧/ ٢/ ٢٠١٤م

ترجمة المصنف

نسبه وكنيته:

هو أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم، المزني، المصري[١].

والمزني: نسبة إلى مُزَينة بنت كلب بن وبرة أمّ القبيلة المشهورة[٢].

مولده:

ولد في سنة موت الليث بن سعد، سنة خمس وسبعين ومائة[٣]، وهو من أهل مصر[٤].

عصره:

عاش الإمام المزني رحمه الله في عصر ازدهرت في الحركة العلمية، في شتى العلوم الشرعية، وممن عاصر من العلماء: مالك بن أنس (ت١٧٩)، وعبد الله بن المبارك (ت١٨٨)، وورش المقرئ (ت١٩٧)، الشافعي (ت ٢٠٤)، وسفيان بن عيينة (ت١٩٧)، وإسحاق بن راهويه (ت٢٣٨)، وابن أبي شيبة (ت ٢٣٩)، وأحمد بن حنبل (ت٢٤١)، والبخاري (ت٢٥٦)، ومسلم بن الحجاج (ت٢٦١)، وأبا داود السجستاني (ت٢٧٥)، وابن ماجه (ت٢٧٥)، والترمذي (ت٢٧٩)، والنسائي (ت٣٠٣)، وغيرهم كثير.

شيوخه:

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي (١٢/ ٤٩٢).

(٢) انظر: شذرات الذهب، لابن العماد (٣/ ٢٧٨).

(٣) انظر: قبل السابق (١٢/ ٤٩٢).

(٤) انظر: وفيات الأعيان (١/ ٢١٧).

من أشهر شيوخه الذين أخذ العلم عنهم[١]:

١. الإمام محمد بن إدريس الشافعي.

٢. نعيم بن حماد شيخ البخاري.

٣. علي بن معبد بن شداد.

تلاميذه:

تلقى العلم عنه عدد كثير من طلبة العلم، من أشهرهم[٢]:

١. الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة.

٢. الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي.

٣. الإمام أبو محمد بن أبي حاتم الرازي.

عقيدته:

كان المزني رحمه الله سلفيا يعتقد ما كان يعتقده الصحابة ﷺ، ويدل على هذا قوله في نهاية شرح السنة: «هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضى، وجانبوا التكلف فيما كُفُوا، فسُدِّدُوا بعون الله ووفِّقُوا، لم يرغبوا عن الاتباع فيقصروا، ولم يجاوزوه تزيُّدًا فيعتدوا، فنحن بالله واثقون، وعليه متوكلون، وإليه في اتباع آثارهم راغبون».

مذهبه:

كان الإمام المزني شافعي المذهب.

قال الإمام الشافعي: «المزني ناصر مذهبي»[٣].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٣).

(٢) انظر: السابق (١٢/ ٤٩٣).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٣).

علو همته:

كان المزني رحمه الله من خواص جلساء الشافعي.

قال المزني رحمه الله: «قرأت كتاب «الرسالة» للشافعي خمسمائة مرة، ما من مرة إلا واستفدت منها فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى»[١].

وفي رواية عنه، أنه قال: «أنا أنظر في كتاب «الرسالة» عن الشافعي منذ خمسين سنة، ما أعلم أني نظرت فيه مرة إلا وأنا أستفيد شيئا لم أكن أعرفه»[٢].

وقال يوسف بن عبد الأحد القمي: «صحبت المزني ليلة شاتية وبعينه رمد، فكان يجدد الوضوء ثم يدعو، ثم ينعس، فيقوم ثانيا، فيجدد الوضوء، حتى فعل ذلك سبع عشرة مرة»[٣].

وكان في غاية الورع، وبلغ من احتياطه أنه كان يشرب في جميع فصول السنة من كوز نحاس، فقيل له في ذلك، فقال: بلغني أنهم يستعملون السرجين في الكيزان، والنار لا تطهرها[٤].

وقيل: إنه كان إذا فاتته الصلاة في جماعة صلى منفردًا خمسًا وعشرين صلاة استدراكا لفضيلة الجماعة[٥].

تغسيله للموتى:

كان يغسل الموتى تعبدا واحتسابا، وهو القائل: «تعانيت غسل الموتى؛ ليرقَّ

---

(١) انظر: مناقب الشافعي، للبيهقي (٢/ ٢٣٦).

(٢) انظر: السابق (٢/ ٢٣٦).

(٣) انظر: السابق (٢/ ٣٤٠).

(٤) انظر: وفيات الأعيان، لابن خَلِّكان (١/ ٢١٨).

(٥) انظر: السابق (١/ ٢١٨).

قلبي، فصار لي عادة»، وهو الذي غسَّل الشافعي رحمه الله[١].

مصنفاته:

أسهم الإمام المزني رحمه الله في إثراء المكتبة الإسلامية حتى انتشرت كتبه في شتى بقاع المعمورة، ومن أشهر كتبه[٢]:

١. الجامع الصغير.

٢. المختصر الكبير.

٣. مختصر المختصر، المشهور بمختصر المزني.

ولقد تعب الإمام المزني في تأليف هذا الكتاب، فقد استغرق في تأليفه عشرين سنة، وألفه ثلاث مرات وغيره.

قال المزني: «كنت في تأليف هذا الكتاب عشرين سنة، وألفته ثلاث مرات، وغيَّرته، وكنت كلما أردت تأليفه أصوم قبله ثلاثة أيام، وأصلي كذا وكذا ركعة»[٣].

وقال أيضا: «لو أدركني الشافعي لسمع مني هذا المختصر»[٤].

وكان إذا فرغ من تبييض مسألة وأودعها مختصره صلى لله ركعتين[٥].

وقد انتشر هذا الكتاب في البلاد انتشار كبيرا، وامتلأت البلاد به، وشرحه عدة من الكبار، بحيث يقال: كانت البكر يكون في جهازها نسخة بمختصر المزني[٦].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٥).

(٢) انظر: السابق (١٢/ ٤٩٣).

(٣) انظر: مناقب الشافعي، للبيهقي (٢/ ٣٤٩).

(٤) انظر: السابق (٢/ ٣٤٦).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، (١٢/ ٤٩٣-٤٩٤).

(٦) انظر: السابق(١٢/ ٤٩٣).

قال البيهقي: «لا أعلم كتابا صُنِّف في الإسلام أعظم نفعا، وأعم بركة، وأكثر ثمرة من كتابه، وكيف لا يكون كذلك واعتقاده في دين الله تعالى، ثم اجتهاده في عبادة الله تعالى، ثم في جمع هذا الكتاب»(١).

ثناء العلماء عليه:

قال له الشافعي: «لتدركن زمانا تكون أقيسَ أهل ذلك الزمان»(٢).

وقال عنه ابن السكري: «رأيت المزني، وما رأيت أعبد لله منه، ولا أتقن للفقه منه»(٣).

وقال ابن خلِّكان: «كان زاهدًا عالمًا مجتهدًا محجاجًا غواصا على المعاني الدقيقة، وهو إمام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه»(٤).

وقال الإمام الذهبي: «الإمام، العلامة، فقيه الملة، علم الزهاد»(٥).

وفاته:

توفي الإمام المزني لست بقين من شهر رمضان سنة أربع وستين ومائتين بمصر، ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي ﵁، بالقرافة الصغرى بسفح المقطم، رحمه الله تعالى(٦).

---

(١) انظر: مناقب الشافعي، للبيهقي (٢/ ٣٤٨).

(٢) انظر: السابق (٢/ ١٣٦).

(٣) انظر: السابق (٢/ ٣٥١).

(٤) انظر: وفيات الأعيان (١/ ٢١٧).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢).

(٦) انظر: قبل السابق (١/ ٢١٨).

سبب تأليف الرسالة

جلس بعض العلماء والفضلاء في مجلس مذاكرة بطرابلس المغرب فجرى بينهم ذكر علماء بذلك مثل: مالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وسفيان الثوري، وداود الأصفهاني، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، والمزني، فعارض معارض في المزني، رحمة الله عليه، وقال: ليس من جملة العلماء.

قالوا: فلم ذلك؟

قال: لأني سمعته يتكلم في القدر، ويجادل بالقياس والنظر، ويتكلم في القرآن، ويقف عنده[١] .

وذكر آخر أنه يقوله إلى أن اجتمع معهم قوم آخرون، فغمهم ذلك أن يسمعوه عنه، وأحبوا أن يعلموا حقيقة ذلك منه، فكتبوا إليه كتابا يسألوه أن يشرح لهم حقيقة اعتقاده في القدر، والإرجاء، والسنة، والقرآن، والبعث، والنشور، والموازين، والصرط، ونظر الناس إلى وجه الرب تعالى يوم القيامة، وسألوه الجمع والاختصار في الجواب، فكتب هذه الرسالة[٢].

❑ ❑ ❑

---

(١) أي لا يقول: القرآن مخلوق، ولا يقول: القرآن غير مخلوق، وهم الواقفة.

(٢) انظر: أول متن الرسالة.

متن الرسالة

متن الرسالة

سند الرسالة وسبب كتابتها

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الفقيه الإمام شمس الدين أبو العز يوسف بن عمر بن أبي نصر الهكَّاري في شهر صفر سنة ست عشرة وستمائة، قال: حدثنا الشيخ الإمام الحافظ الثقة بقية السلف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني من لفظه بالموصل في تاسع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وستمائة، قال: أخبرنا الشيخ الصالح العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حمد بن مفرج بن غياث الأَرتاحي بقراءتي عليه بفسطاط مصر، قال: أخبرنا الشيخ المسند العالم أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر الموصلي الفراء فيما أذن فيه لي.

ح: قال الشيخ إبراهيم بن عثمان:

وأخبرنا الشيخ الإمام الفقيه الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني السِّلَفي في كتابه إلينا من الإسكندرية في ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وخمسمائة، قال: أخبرنا الشريف أبو محمد عبد الملك بن الحسن بن بتِنَّة الأنصاري بمكة بقراءتي عليه في سنة تسع وتسعين وأربعمائة، قالا: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي النَّسَوِي الفقيه قدم علينا مكة، أخبرني أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد العسقلاني بعسقلان، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي، وأبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، قالا: أخبرنا أحمد بن بكر اليازوري، قال: حدثني الحسن بن علي اليازوري الفقيه حدثني علي بن عبد الله الحلواني، قال:

كنت بطرابلس المغرب، فذكرت أنا وأصحاب لنا السُّنة إلى أن ذكرنا أبا إبراهيم المزني رحمه الله، فقال بعض أصحابنا: بلغني أنه كان يتكلم في القرآن، ويقف عنده، وذكر آخر أنه يقوله إلى أن اجتمع معنا قوم آخرون فغم الناس ذلك غما شديدا فكتبنا إليه كتابا نريد أن نستعلم منه يكتب إلينا شرح السنة في القدر، والإرجاء، والقرآن، والبعث، والنشور، والموازين، وفي النظر، فكتب إلينا:

وفي نسخة أخرى قال عبد الكريم بن عبد الرحمن بن معاذ بن كثير: جالست علي بن عبد الله الحلواني بطرابلس الغرب في مجلس مذاكرة، وكنا جماعة من أهل العلم بمذهب السنة، فجرى ذكر علماء بذلك مثل: مالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وسفيان الثوري، وداود الأصفهاني، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، والمزني، فعارض معارض في المزني، رحمة الله عليه، وقال: ليس من جملة العلماء، قلنا: فلم ذلك؟ قال: لأني سمعته يتكلم في القدر، ويجادل بالقياس والنظر، فغمنا ذلك أن نسمعه عنه، وأحببنا أن نعلم حقيقة ذلك، فكتبنا إليه كتابا نسأله أن يشرح لنا حقيقة اعتقاده في القدر، والإرجاء، والسنة، والبعث، والنشور، والموازين، والصرط، ونَظَر الناس إلى وجه الرب تعالى يوم القيامة، وسألناه الجمع والاختصار في الجواب، فلما أن وصل إلينا الكتاب رد إلينا جوابه .....

[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

[١] عصمنا الله وإياكم بالتقوى، ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى، أما بعد، فإنك أصلحك الله سألتني أن أوضح لك من السنة أمرا تصبِّر نفسك على التمسك به، وتدرأ به عنك شبه الأقاويل، وزيغ محدثات الضالين، وقد شرحت لك منهاجا موضحا منيرا لم آل نفسي وإياك فيه نصحا، بدأت فيه بحمد الله ذي الرشد والتسديد.

[٢] الحمد لله أحق من ذكر، وأولى من شكر، وعليه أثني.

[العلو والمعية]

[٣] عال على عرشه، وهو دان بعلمه من خلقه.

[إثبات الصفات بلا تمثيل ولا تشبيه]

[٤] الواحد الصمد، ليس له صاحبة ولا ولد، جل عن المثيل، فلا شبيه له، ولا عديل، السميع البصير العليم الخبير، المنيع الرفيع.

[الإيمان بالقضاء والقدر]

[٥] أحاط علمه بالأمور، وأنفذ في خلقه سابق المقدور ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر:١٩]، فالخلق عاملون بسابق علمه، ونافذون لما خلقهم له من خير وشر، لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعا، ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعا، خلق الخلق بمشيئته عن غير حاجة كانت به.

[الإيمان بالملائكة]

[٦] وخلق الملائكة جميعا لطاعته، وجبلهم على عبادته؛ فمنهم ملائكة بقدرته للعرش حاملون، وطائفة منهم حول عرشه يسبحون، وآخرون بحمده يقدسون، واصطفى منهم رسلا إلى رسله، وبعضٌ مدبرون لأمره.

[خلق آدم عليه السلام وابتلاؤه]

[٧] ثم خلق آدم بيده وأسكنه جنته، وقبل ذلك للأرض خلقه، ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها، ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها، ثم سلط عليه عدوه فأغواه عليها، وجعل أكله لها إلى الأرض سببا، فما وجد إلى ترك أكلها سبيلا، ولا عنه لها مذهبا.

[أهل الجنة وأهل النار]

[٨] ثم خلق للجنة من ذريته أهلا، فهم بأعمالها بمشيئته عاملون، وبقدرته وبإرادته ينفذون.

[٩] وخلق من ذريته للنار أهلا؛ فخلق لهم أعينا لا يبصرون بها، وآذانا لا يسمعون بها، وقلوبا لا يفقهون بها، فهم بذلك عن الهدى محجوبون، وبأعمال أهل النار بسابق قَدَره يعملون.

[الإيمان قول وعمل يزيد وينقص]

[١٠] والإيمان قول وعمل، مع اعتقاده بالجنان: قول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، وهما سيان ونظامان وقرينان، لا نفرِّق بينهما، لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان.

[١١] والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون، وبصالح الأعمال هم متزايدون.

[١٢] ولا يخرجون بالذنوب من الإيمان، ولا يكفَّرون بركوب معصية، ولا عصيان.

[١٣] ولا نوجب لمحسنهم الجنان بعد من أوجب له النبي ﷺ، ولا نشهد على مسيئهم بالنار.

[القرآن كلام الله]

[١٤] والقرآن كلام الله ﷻ، ومن لدنه، وليس بمخلوق فيبيد.

[صفات الله ﷻ]

[١٥] وكلمات الله، وقدرة الله، ونعته وصفاته، كاملات غير مخلوقات، دائمات أزليات، وليست بمحدثات فتبيد، ولا كان ربنا ناقصا فيزيد.

[١٦] جلت صفاته عن شبه صفات المخلوقين، وقصرت عنه فطن الواصفين، قريب بالإجابة عند السؤال، بعيد بالتعزز لا ينال، عال على عرشه، بائن من خلقه، موجود، وليس بمعدوم، ولا بمفقود.

[الإيمان باليوم الآخر]

[١٧] والخلق ميتون بآجالهم عند نفاد أرزاقهم، وانقطاع آثارهم.

[١٨] ثم هم بعد الضغطة في القبور مُساءلون.

[١٩] وبعد البلى منشورون.

[٢٠] ويوم القيامة إلى ربهم محشورون.

[٢١] ولدى العرض عليه محاسبون.

[٢٢] بحضرة الموازين.

[٢٣] ونشر صحف الدواوين، أحصاه الله ونسوه، ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج:٤].

[٢٤] لو كان غير الله ﷻ الحاكم بين خلقه، لكنه الله يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة في الدنيا، ﴿وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾ [الأنعام:٦٢].

[٢٥] كما بدأه لهم من شقاوة وسعادة يومئذ يعودون، ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧].

[٢٦] وأهل الجنة يومئذ في الجنة يتنعمون وبصنوف اللذات يتلذذون، وبأفضل الكرامات يُحبرون.

[٢٧] فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون لا يمارون في النظر إليه ولا يشكون فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضله إليه ناظرة في نعيم دائم مقيم، ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨﴾ [الحجر:٤٨]، ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد:٣٥].

[٢٨] وأهل الجحد ﴿عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، و ﴿فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢﴾، ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠]، و ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦﴾ [فاطر:٣٦]، خلا من شاء الله من الموحدين إخراجهم منها.

[الواجب علينا نحو ولاة الأمور]

[٢٩] والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله ﷻ مرضِيًّا، واجتناب ما كان عند الله مسخطا.

[٣٠] وترك الخروج عند تعديهم وجورهم.

[٣١] والتوبة إلى الله ﷻ كيما يعطف بهم على رعيتهم.

[الإمساك عن تكفير أهل القبلة]

[٣٢] والإمساك عن تكفير أهل القبلة.

[٣٣] والبراءة منهم فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالا.

[٣٤] فمن ابتدع منهم ضلالا، كان على أهل القبلة خارجا، ومن الدين مارقا، ويتقرب إلى الله ﷻ بالبراءة منه، ويهجر ويحتقر، وتجتنب غُدَّتَه فهي أعدى من غُدَّة الجرب.

[الاعتقاد في الصحابة ﭫ]

[٣٥] ويقال بفضل خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﭬ، فهو أفضل الخلق وأخيرهم بعد النبي ﷺ ونثني بعده بالفاروق، وهو عمر بن الخطاب ﭬ فهما وزيرا رسول الله ﷺ، وضجيعاه في قبره، ونثلث بذي النورين عثمان بن عفان ﭬ، ثم بذي

الفضل والتُّقى علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

[٣٦] ثم الباقين من العشرة الذين أوجب لهم رسول الله ﷺ الجنة، ونخلص لكل رجل منهم من المحبة بقدر الذي أوجب لهم رسول الله ﷺ من التفضيل، ثم لسائر أصحابه من بعدهم رضي الله عنهم أجمعين.

[٣٧] ويقال بفضلهم، ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم، فهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم، ارتضاهم الله ﷻ لنبيه وجعلهم أنصارا لدينه؛ فهم أئمة الدين وأعلام المسلمين؛ رضي الله عنهم أجمعين.

[الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم والحج]

[٣٨] ولا نترك حضور الجمعة، وصلاتها مع بر هذه الأمة وفاجرها لازم، ما كان من البدعة بريئا، فإن ابتدع ضلالا فلا صلاة خلفه.

[٣٩] والجهاد مع كل إمام عدل، أو جائر، والحج.

[حكم قصر الصلاة والفطر في السفر]

[٤٠] وقصر الصلاة في الأسفار.

[٤١] والتخيير فيه بين الصيام والإفطار في الأسفار إن شاء صام وإن شاء أفطر.

[اجتماع السلف على هذه الرسالة]

[٤٢] هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضا، وجانبوا التكلف فيما كفوا فسددوا بعون الله ووفقوا، لم يرغبوا عن الاتباع فيقصروا، ولم يجاوزوه تزيدا فيعتدوا؛ فنحن بالله واثقون، وعليه متوكلون، وإليه في اتباع آثارهم راغبون.

[المحافظة على الفرائض واجتناب المحارم]

[٤٣] فهذا «شرح السنة»، تحريت كشفها وأوضحتها؛ فمن وفقه الله للقيام بما أبنته مع معونته له بالقيام على أداء فرائضه بالاحتياط في النجاسات، وإسباغ الطهارة على الطاعات، وأداء الصلوات على الاستطاعات، وإيتاء الزكاة على أهل الجِدَات، والحج على أهل الجِدَة والاستطاعات، وصيام الشهر لأهل الصحات، وخمس صلوات سنها رسول الله ﷺ: صلاة الوتر في كل ليلة، وركعتا الفجر، وصلاة الفطر والنحر، وصلاة كسوف الشمس والقمر إذا نزل، وصلاة الاستسقاء متى وجب.

[٤٤] واجتناب المحارم، والاحتراز من النميمة، والكذب، والغيبة، والبغي بغير الحق، وأن يقال على الله ما لا يعلم كل هذا كبائر محرمات.

[٤٥] والتحري في المكاسب والمطاعم، والمحارم والمشارب والملابس، واجتناب الشهوات، فإنها داعية لركوب المحرمات، فمن رعى حول الحمى، فإنه

يوشك أن يواقع الحمى.

[الخاتمة]

[٤٦] فمن يُسِّر لهذا فإنه من الدين على هدى، ومن الرحمة على رجاء.

[٤٧] ووفقنا الله وإياك إلى سبيله الأقوم، بمنه الجزيل الأقدم، وجلاله العلي الأكرم، والسلام على من قرأ علينا السلام، ولا ينال سلام الله الضالين، والحمد لله رب العالمين.

[٤٨] نجزت الرسالة بحمد الله، ومَنِّه، وصلواته على محمد وآله، وأصحابه، وأزواجه الطاهرات، وسلَّم كثيرا.

❑ ❑ ❑

الشـــــرح

شرح عنوان الرسالة
«شرح السنة»

«شرح»: الشرح هو التوضيح والتبيين، يقال: شَرَحَ فلان أمره، أَي أَوضحه، وشَرَح مسأَلة مشكَلة: أي بَيَّنها، وشرح الشيء يشرحه شرحا وشَرَّحَه: أي فتحه، وبَيَّنَه، وكَشَفه[١].

فائدة: الفرق بين الشرح والتفصيل[٢]:

الفرق الأول: الشرح: بيان المشروح وإخراجه من وجه الإشكال إلى التجلي والظهور، ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن.

والتفصيل: هو ذكر ما تتضمنه الجملة على سبيل الافراد.

ولهذا قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود:١]، ولم يقل: شرحت.

الفرق الثاني: التفصيل: هو وصف آحاد الجنس وذكرها معا، وربما احتاج التفصيل إلى الشرح والبيان، والشيء لا يحتاج إلى نفسه.

«السنة»: السُّنَّة: لغة: الطريقة، والسيرة.

قال أبو منصور الأزهري: «السُّنّة: الطريقةُ المستقيمة المحمودة»[٣].

وقال ابن فارس: «السُّنَّة: هي السّيرة»[١].

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة «شرح».

(٢) انظر: الفروق اللغوية، للعسكري، صـ (٥٨-٥٩).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، مادة «سنن».

وقال الفيروز آبادي: «سنن الطريق: مثلثة وبضمتين نهجه وجهته»(٢).

وقال ابن منظور: «السُّنّة: السيرة حسنة كانت، أو قبيحة»(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الحِجر: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: ٧٧].

وقول الرَّسُوْل ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(٤).

والسنة اصطلاحا:

قال الجرجاني: «هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض وجوب، فالسنة ما واظب النبي ﷺ عليها مع الترك أحيانا، فإن كانت المواظبة المذكورة على سبيل العبادة، فسنن الهدى، وإن كانت على سبيل العادة، فسنن الزوائد»(٥).

وقال التهانوي: السنة في الشريعة تطلق على معان:

منها: الشريعة، وبهذا المعنى وقع في قولهم الأَوْلى بالإمامة الأعلم بالسُّنَّة.

ومنها: ما هو أحد الأدلة الأربعة الشرعية، وهو ما صدر عن النبي ﷺ غير

---

(١) انظر: مقايس اللغة، لابن فارس، مادة «سنن».

(٢) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آباد، مادة «سنن».

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة «سنن».

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٠١٧)، من حديث جرير بن عبد الله البَجلي رضي الله عنه.

(٥) انظر: التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني صـ(١٦١).

القرآن من قول ويسمّى الحديث، أو فعل، أو تقرير.

ومنها ما ثبت بالسُّنة وبهذا المعنى وقع فيما روي عن أبي حنيفة أنَّ الوتر سُنَّة، وعليه يحمل قولهم: عيدان اجتمعا، أحدهما فرض، و الآخر سنة، أي واجب بالسّنّة، والمراد بالسُّنَّة ههنا ما هو أحد الأدلة الأربعة.

ومنها: ما يعمّ النفل وهو ما فِعْله خير من تركه من غير افتراض، ولا وجوب، ومنها: النفل، وهو ما يثاب المرء على فعله، ولا يعاقب على تركه[1].

وتعددت تعريفات السنة حسب المشتغلين بها.

فالسنة في اصطلاح المحدثين: «ما أُثِرَ عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها، وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم»[2].

وفي اصطلاح الأصوليين: «ما نقل عَنْ النَّبِيِّ ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير»[3].

والقول هو: ما أخبر به النبي ﷺ أصحابه ﷺ.

ومثاله: قوله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[4].

والفعل: ما نقله لنا الصحابة ﷺ من أفعال النبي ﷺ.

ومثاله: أداء الصلاة، وآداب قضاء الحاجة، وتعامله ﷺ معهم ﷺ، ونحوه.

---

(١) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي (١/ ٩٨٠-٩٨١).

(٢) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي صـ (٥٧).

(٣) انظر: السابق صـ (٥٧).

(٤) صحيح: رواه البخاري (١٥)، من حديث أنس ﷺ.

ومثاله: قول ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»(١).

وقول أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَجِيءُ أَنَا وَغُلَامٌ مَعَنَا إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ يَعْنِي يَسْتَنْجِي بِهِ»(٢).

والتقرير: ما أقره النبي ﷺ من أفعال بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضى، أو بإظهار استحسان وتأييد(٣).

ومثاله: عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رسول الله ﷺ قُدِّم له الضَّبَّ، فَرَفَعَ يَدَهُ عَنه، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ: أَحَرَامٌ الضَّبُّ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ»، قَالَ: خَالِدٌ فَاجْتَرَرْتُهُ، فَأَكَلْتُهُ وَرَسُولُ الله ﷺ يَنْظُرُ إِلَيَّ(٤).

وفي اصطلاح الفقهاء: «ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب، وتقابِل الواجبَ، وغيره من الأحكام الخمسة، وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة، ومنه قولهم: طَلَاقُ السُّنَّةِ كَذَا، وَطَلَاقُ البِدْعَةِ كَذَا»(٥).

والمراد بالسنة هنا العقيدة، وسميت العقيدة بالسنة؛ لأنها لا مجال للرأي والاجتهاد فيها، وإنما مبناها على الكتاب والسنة الصحيحة.

قال شيخ الإسلام: «لفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٥١)، ومسلم (٢٧١).

(٣) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، صـ (٥٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٣٩١)، ومسلم (١٩٤٦).

(٥) انظر: قبل السابق صـ (٥٨).

الاعتقادات، وإن كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات، وهذا كقول ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأُبي الدرداء ﷺ: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، وأمثال ذلك»[1].

وقال ابن رجب الحنبلي: «ثم صار في عُرْف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم السنة عبارة عما سَلِمَ من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم باسم السنة؛ لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا هلكة»[2].

❑ ❑ ❑

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨/ ١٧٨).

(٢) انظر: كشف الكربة، للحافظ ابن رجب الحنبلي، صـ (٣٢٠).

أهم الموضوعات التي اشتملت عليها الرسالة

اشتملت رسالة شرح السنة للإمام المزني على عدة موضوعات عقدية، من أهمها:

١. منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات.

٢. جملة من أصول الإيمان [الإيمان بالقدر، والإيمان بالملائكة، الإيمان باليوم الآخر].

٣. موقف أهل السنة من الصحابة ﷺ.

٤. موقف أهل السنة من ولاة الأمور.

٥. التحذير من ارتكاب المحرمات.

كما اشتملت على عدة موضوعات فقهية، منها:

١. قصر الصلاة في السفر.

٢. الفطر في السفر.

٣. المحافظة على أداء الفرائض، واجتناب المحرمات.

❑ ❑ ❑

سند الرسالة، وسبب كتابتها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عز الدين أبو محمد عبد الرزاق الرَّسعني: أخبرنا الفقيه الإمام شمس الدين أبو العز يوسف بن عمر بن أبي نصر الهَكَّاري في شهر صفر سنة ست عشرة وستمائة، قال: حدثنا الشيخ الإمام الحافظ الثقة بقية السلف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني من لفظه بالموصل في تاسع عشر من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وستمائة، قال: أخبرنا الشيخ الصالح العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حمد بن مُفَرّج بن غياث الأرتاحي بقراءتي عليه بفسطاط مصر، قال: أخبرنا الشيخ المسند العالم أبو الحسن علي بن الحسين بن عمر الموصلي الفراء فيما أذن فيه لي.

ح: قال الشيخ إبراهيم بن عثمان:

وأخبرنا الشيخ الإمام الفقيه الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني السَّلَفي في كتابه إلينا من الإسكندرية في ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وخمسمائة، قال: أخبرنا الشريف أبو محمد عبد الملك بن الحسن بن بِتِنَّةَ الأنصاري بمكة بقراءتي عليه في سنة تسع وتسعين وأربعمائة، قالا: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي النَّسَوِي الفقيه قدم علينا مكة، أخبرني أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد العسقلاني بعسقلان، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي، وأبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، قالا: أخبرنا أحمد بن بكر اليازوري، قال: حدثني الحسن بن علي اليازوري الفقيه، حدثني علي بن عبد الله الحلواني، قال:

كنت بطرابلس المغرب، فذكرت أنا وأصحاب لنا السنة إلى أن ذكرنا أبا

إبراهيم المزني رحمه الله، فقال بعض أصحابنا: بلغني أنه كان يتكلم في القرآن، ويقف عنده، وذكر آخر أنه يقوله إلى أن اجتمع معنا قوم آخرون، فغم الناس ذلك غما شديدا، فكتبنا إليه كتابا نريد أن نستعلم منه يكتب إلينا شرح السنة في القدر، والإرجاء، والقرآن، والبعث، والنشور، والموازين، وفي النظر، فكتب إلينا:

وفي نسخة أخرى قال عبد الكريم بن عبد الرحمن بن معاذ بن كثير: جالست علي بن عبد الله الحلواني بطرابلس الغرب في مجلس مذاكرة، وكنا جماعة من أهل العلم بمذهب السنة، فجرى ذكر علماء بذلك مثل مالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وسفيان الثوري، وداود الأصفهاني، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، والمزني، فعارض معارض في المزني، رحمة الله عليه، وقال: ليس من جملة العلماء، قلنا: فلم ذلك؟ قال: لأني سمعته يتكلم في القدر، ويجادل بالقياس والنظر (١)، فغمنا ذلك أن نسمعه عنه، وأحببنا أن نعلم حقيقة ذلك، فكتبنا إليه كتابا نسأله أن يشرح لنا حقيقة اعتقاده في القدر، والإرجاء، والسنة، والبعث، والنشور، والموازين، والصرط، ونظر الناس إلى وجه الرب تعالى يوم القيامة، وسألناه الجمع والاختصار في الجواب، فلما أن وصل إلينا الكتاب رد إلينا جوابه .....

---

(١) **قوله**: «**ويجادل بالقياس والنظر**»: أي يستخدم القياس والنظر في الاستدلال ويُعرض عن الكتاب والسنة.

فائدة: القياس ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قياس شمول، هو العام الشامل لجميع أفراده، بحيث يكون كل فرد منه داخلا في مسمى ذلك اللفظ ومعناه.

....

مثال: تقاس حياة المخلوقين بعضهم ببعض من أجل أن الكل يشمله اسم الحي.

النوع الثاني: قياس التمثيل، هو إلحاق الشيء بمثيله، فيجعل ما ثبت للمشبه به مثل ما ثبت للمشبه.

وهذان النوعان لا يجوزان في حق الله تعالى، فلا تقاس أسماء الله تعالى بأسماء الخلق؛ لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم بل مخالفة لصفاتهم، وأسماء الله تعالى صفاته ليس شيء منها مخالفا لصفاته، ولا شيء من صفاته مخالفا لأسمائه.

النوع الثالث: قياس الأولوية، هو أن الفرع أولى بالحكم من الأصل، ومضمونه: أن كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فالخالق أولى به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق، فالخالق أحق بالتنزيه عنه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

يؤخذ من هذه القصة:

١. سبب كتابة الرسالة أنها جاءت ردًّا على من تُقُوِّل على الإمام المزني أنه يوافق القدرية والمتكلمين في بعض مسائلهم.

٢. حرص السلف على مذاكرة العلم.

٣. ينبغي للعالم ألا يتكلم في المسائل المختلف فيها بين أهل السنة والجماعة، وبين المبتدعة على وجه مشكِل يحتمل أكثر من وجه.

....

٤. عظيم منزلة كل من مالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وسفيان الثوري، وداود الأصفهاني، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل؛ لأنه يحتج بكلامهم.

٥. منزلة الإمام المزني بين العلماء مما جعلهم يغتمون لسماع هذه الأخبار عنه.

٦. ينبغي لمن بلغه عن أحد العلماء شيئا لا يسره أن يتثبت أولا.

❑ ❑ ❑

[المقدمة]

قال الإمام المزني رحمه الله:

بسم الله (١) الرحمن (٢) الرحيم (٣)

[١] عصمنا الله وَإِيَّاكُم بالتقوى (٤)، ....

---

(١) **قوله**: «**بسمِ اللّهِ**»: افتتح المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وتأسيا بالنبي ﷺ في مراسلاته، ومكاتباته، كما جاء في كتابه لِهِرَقْل عظيم الروم[١].

والمعنى: بسم الله أكتب، وبدأ بها تبركا، واستعانة بالله تعالى[٢].

(٢) **قوله**: «**الرَّحمَنِ**»: أي المتصف بالرحمة الواسعة، وهو اسم خاص بالله عز وجل[٣].

(٣) **قوله**: «**الرَّحِيمِ**»: أي ذو الرحمة الواصلة[٤].

(٤) **قوله**: «**عصمنا اللّه وإِيَّاكُم بالتقوى**»: هذا دعاء من المصنف رحمه الله له وللمخاطبين بأن يعصمهم الله من المعصية والشرور بالتقوى.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: فتح الباري، للحافظ ابن حجر (١/ ٨).

(٣) انظر: لسان العرب، مادة «رحم».

(٤) انظر: لسان العرب، مادة «رحم».

ووفقنا وَإِيَّاكُم لموافقة الهدى (١)، أما بعد (٢)،..................................

والعصمة: أن يعصمك الله من الشر، أي: يدفع عنك، واعتصمت بالله، أي: امتنعت به من الشّر[1].

والتقوى: لغة: بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية[2].

وشرعا: هي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر[3].

(١) **قوله**: «**ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى**»: هذا دعاء ثان من المصنف رحمه الله له وللمخاطبين بأن يوفقهم الله تعالى للعمل بسنة الرسول ﷺ والشرع الحكيم، والتوفيق: جعل الله فعل عباده موافقًا بما يحبه ويرضاه[4].

والمقصود من الهدى هنا شرع الرسول ﷺ؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام:٨٨].

(٢) **قوله**: «**أما بعد**»: كلمة يؤتى بها للانتقال إلى الموضوع الذي يقصد، وأصلها: مهما يكن من شيء[5].

وقيل: يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، وفيه نظر[6].

---

(١) انظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد، مادة «عصم».

(٢) انظر: مقاييس اللغة، مادة «وقى».

(٣) انظر: الكليات، صـ (٢٩٩)، وكشاف الاصطلاحات (١/ ٥٠١).

(٤) انظر: التعريفات، صـ (٦٩).

(٥) انظر: الكتاب، لسيبويه (٣/ ١٣٧).

(٦) انظر: الروض المربع، للبهوتي (١/ ١١٨).

فَإِنَّك أصلحك الله (١) سَأَلتني (٢) أَن أوضح لَك (٣) من السّنة (٤)............

(١) **قوله**: «**فإنك أصلحك الله**»: هذا دعاء من المصنف للسائل الذي سأله عن عقيدته بأن يصلحه الله، أي يوفقك الله للعمل بطاعته، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف:١٥].

أي: وأصلح لي أموري في ذريتي الذين وهبتهم، بأن تجعلهم هداة للإيمان بك، واتباع مرضاتك، والعمل بطاعتك[١].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾ [محمد:٢].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِفَاطِمَةَ: «مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[٢].

(٢) **قوله**: «**سألتني**»: أي سؤال مستفهم لا سؤال متعنت.

(٣) **قوله**: «**أن أوضح لك**»: أي أُبَيِّنَ لك وأُجلي.

(٤) **قوله**: «**من السنة**»: أي من العقيدة، وسميت العقيدة بالسنة؛ لأنها لا مجال فيها للعقل.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١١٥).

(٢) صحيح: رواه النسائي في الكبرى (١٠٣٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩١٣).

أمرا تصبر نَفسك على التَّمَسُّك بِهِ(١)، وتدرأ بِهِ عَنْك (٢) ....

(١) **قوله**: «**أمرا تصبِّر نفسك على التمَسُّك به**»: أي شيئا تحبس به نفسك على طاعة الله، وأقداره، وعن معصيته.

والصبر لغة: الحبس والكف، ومنه: قتل فلان صبرا، إذا أمسك وحبس[(١)]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨] .

أي: احبس نفسك معهم[(٢)].

والصبر شرعا: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش.

وهو ثلاثة أنواع:

- صبر على طاعة الله.
- وصبر عن معصية الله.
- وصبر على امتحان الله[(٣)].

(٢) **قوله**: «**وتدرأ به عنك**»: أي تدفع به عن نفسك[(٤)]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ [النور:٨].

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة «صبر».

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٨٨).

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، صـ (٣١٣)، ولسان العرب، مادة «درأ».

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١١٥).

شبه الأَقَاوِيل (١)، وزيغ (٢) محدثات (٣)................................

أي: ويدفع عنها الحد[١].

(١) **قوله**: «**شبه الأقاويل**»: أي التباس الأقاويل التي قيلت فيَّ؛ كالكلام في القدر، والجدال بالقياس والنظر.

وشُبَه: جمع شبهة، والشبهة: هي ما لم يُتيَقَّن كونه حرامًا أو حلالًا[٢].

وأقاويل: جمع أقوال، وأقوال جمع قول، وهو الكلام، وَتسمى الأقوال المفتراة «أقاويل» تحقيرا لَهَا[٣]، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ [الحاقة:٤٤].

فائدة: الفرق بين القول، والقال:

- القول يكون في الخير.
- والقال والقيل والقالة يكون في الشر[٤].

(٢) **قوله**: «**وزيغ**»: أي انحراف، وميل عن الحق بسبب شبهة، أو شهوة، أو فتنة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧].

(٣) **قوله**: «**محدثات**»: جمع محدثة، وهي الشيء المستحدث، ومنه قول النبي ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١١٤).

(٢) انظر: التعريفات، صـ(١٢٤).

(٣) انظر: الكليات، صـ(٧١٠).

(٤) انظر: القاموس المحيط، مادة «قول».

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢)، عن

الضَّالّين (١) وَقد شرحت لَك منهاجا (٢) موضِحًا منيرا (٣) ....

---

(١) **قوله**: «**الضَّالين**»: أي الضائعين الهالكين[١]،

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٦-٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧﴾ [القمر:٤٧].

والمعنى أن المصنف رحمه الله سيذكر في رسالته هذه جملة من الاعتقاد الذي يدفع عن المسلم ما يوقعه في الالتباس، والانحراف والميل عن الحق بسبب بدع الضالين والهالكين.

(٢) **قوله**: «**وقد شرحت لك منهاجا**»: أي بينت ووضحت لك في هذه الرسالة طريقا، وهو طريق أهل السنة والجماعة.

والمنهاج: كالمنهج، وهو الطريق الواضح[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة:٤٨].

أي: لكل قوم منكم جعلنا طريقا إلى الحق يَؤمَّه، وسبيلا واضحا يعمل به[٣].

(٣) **قوله**: «**موضِحا منيرا**»: أي صفة هذا المنهج الذي شرحته لك أنه يوضِّح، ويبيِّن، وينير لمن يتبعه الطريق.

العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ، وصححه الألباني.

(١) انظر: لسان العرب، مادة «ضلل».

(٢) انظر: السابق، مادة «نهج».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٤).

لم آل نَفسِي وَإِيَّاك فِيهِ نصحا (١) بدأت فِيهِ بِحَمْد الله (٢) ....

(١) **قوله**: «**لم آلُ نفسي وإيَّاك فِيهِ نصحا**»: أي لم أُقَصِّر في ذكر النصيحة لي ولك.

وآل: من ألوت إذا قصَّرت، يقال: ألَّى الرجل، وأَلِيَ إذا قصَّر، وتَرَك الجهد[١].

والنصيحة: هي إرادة الخير للمنصوح له، وأصل النصح في اللغة: الخلوص، يقال: نصحته، ونصحت له[٢].

والنصيحة حق من حقوق المسلم على أخيه؛ لحديث جَرِيْرٍ ﵁، قال: بَايَعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ: «وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله؟، قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»[٤].

(٢) **قوله**: «**بدأت فِيهِ بحمد الله**»: أي بدأته بالثناء على تعالى، والحمد هو الثناء الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها[٥].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير(١/ ٦٣).

(٢) انظر: السابق (٥/ ٦٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧١٤)، ومسلم (٥٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢).

(٥) انظر: التعريفات، صـ (٩٣).

ذِي الرشد (١)، والتسديد (٢).

[٢] الحَمد (٣) لله (٤) ....

(١) **قوله**: «**ذِي الرشد**»: أي الموفِّق، والهادي إلى طريق الحق، والرشد: الاستقامة على طريق الحق[١]، وهو ضد الغي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٦].

(٢) **قوله**: «**والتسديد**»: أي المسدِّد والموفِّق إلى الحق، يقال: اللهم سددنا للخير، أي: وفِّقنا له، ويقال: سدِّد صاحبَك، أَي: علِّمه الخيرَ واهدِه، ورجل مُسدَّد، أَي: موفَّق[٢].

(٣) **قوله**: «**الحَمد**»: الحمد هو الثناء على المحمود مع المحبة، والتعظيم له، والألف واللام لاستغراق كل المحامد لله تعالى[٣].

(٤) **قوله**: «**لله**»: الله علم على الذات الإلهية، مشتق من أَلِهَ يُأْلَهُ أُلُوْهَةً، بمعنى عبد يُعْبَدُ عِبَادَةً، فالله: إله بمعنى مألوه: أي معبود، واللام لاختصاص المحامد كلها لله تعالى مُلْكًا، واستحقاقا، والمعنى: أن المستحق لجميع أنواع المحامد هو الله جل ذكره[٤].

---

(١) انظر: الكليات، صـ(٤٧٦).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، مادة «سدد».

(٣) انظر: لسان العرب، مادة «حمد».

(٤) انظر: تاج العروس، ومختار الصحاح، مادة «أله».

أَحَق من ذُكِر، وَأولى من شُكِر (١)، وَعَلِيهِ أثني (٢).

---

(١) **قوله**: «**أحق من ذُكِر، وأولى من شُكِر**»: لأنه لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيّئات إلا هو، ولا يجيب الدعَوات إلا هو، ولا يُقيل العثَرات ويغفر الخطيئات ويستر العورات، ويكشف الكرُبات، ويُغيث اللهفات، ويُنيل الطلَبات سواه[1].

فائدة: الفرق بين الحمد والشكر:

الشكر: أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات، وأخص من جهة الأسباب.

ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافا، وبالجوارح طاعة وانقيادا، ومُتعلَّقُه: النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته، وسمعه، وبصره، وعلمه، وهو المحمود عليها، كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم.

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكلُّ ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان[2].

(٢) **قوله**: «**وعليه أثني**»: أي أمجِّدُه، وأذكره ﷻ بالتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد ونحوه.

---

(١) انظر: الداء والدواء، لابن القيم، صـ (٥٣٨).

(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٢٣٦).

....

والثناء لغة: مأخوذ من الثني، وهو العطف ورد الشيء بعضه على بعض، ومنه ثنيت الثوب: إذا جعلته اثنين بالتَّكرار[(١)].

والثناء اصطلاحا: هو الإتيان بما يُشْعر التعظيم مطلقا، سواء كان باللسان، أو بالجنان، أو بالأركان؛ وسواء كان في مقابلة شيء، أو لا، فيشمل الحمد، والشكر، والمدح[(٢)].

❑ ❑ ❑

(١) انظر: الكليات، صـ (٣٢٤).

(٢) انظر: السابق، صـ (٣٢٤).

[العلو والمعية]

[٣] عَال (١) ....

(١) **قوله**: «**عال**»: أي بذاته ﷻ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة متواترة.

قال ابن القيم: «كونه فوق عباده من ثمانية عشر نوعا:

أحدها: التصريح بالفوقية مقرونة بأداة «من» المعيِّنة لفوقية الذات نحو: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾ [النحل:٥٠].

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤].

وقول النبي ﷺ: «فَيَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ»[(١)].

الرابع: التصريح بالصعود إليه كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠].

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨].

وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتا وقدرا وشرفا، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

....

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:٥١].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [الزُّمَر:١]، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فُصِّلَت:٤٢]، ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢].

وهذا يدل على شيئين: على أن القرآن ظهر منه لا من غيره، وأنه الذي تكلم به لا غيره.

الثاني: على علوه على خلقه وأن كلامه نزل به الروح الأمين من عنده من أعلى مكان إلى رسوله.

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩﴾ [الأنبياء:١٩]، ففرق بين من له عموما ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصا.

وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه «إِنَّه عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ»(١).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

....

التاسع: التصريح بأنه سبحانه في السماء، وهذا عند أهل السنة على أحد وجهين:

إما أن تكون «في» بمعنى «على».

وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز حمل النص على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقرونا بأداة «على» مختصا بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات مصاحبا في الأكثر لأداة «ثم» الدالة على الترتيب والمهلة، وهو بهذا السياق صريح في معناه الذي لا يفهم المخاطبون غيره من العلو والارتفاع، ولا يحتمل غيره ألبتة.

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله سبحانه، كقوله ﷺ: «إِنَّ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[(١)].

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى أسفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسا إلى العلو كما أشار إليه من هو أعلم به وما يجب له ويمتنع عليه من أفراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة في أعظم مجمع على وجه الأرض يرفع أصبعه إلى السماء، ويقول: اللهم اشهد[(٢)]، ليشهد الجميع أن الرب الذي أرسله ودعا إليه واستشهده هو الذي فوق سماواته على عرشه.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، من حديث سلمان رضي الله عنه، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

....

الرابع عشر: التصريح بلفظ «الأين» الذي هو عند الجهمية بمنزلة «متى» في الاستحالة، ولا فرق بين اللفظين عندهم ألبتة، فالقائل «أين الله» و «متى كان الله» عندهم سواء، كقول أعلم الخلق به، وأنصحهم لأمته، وأعظمهم بيانا عن المعنى الصحيح بلفظ لا يوهم باطلا بوجه «أين الله»[١] في غير موضع[٢].

الخامس عشر: شهادته التي هي أصدق شهادة عند الله وملائكته وجميع المؤمنين لمن قال: «إن ربه في السماء» بالإيمان، وشهد عليه أفراخ جهم بالكفر، وصرح الشافعي بأن هذا الذي وصفته من أن ربها في السماء إيمان فقال في كتابه في باب عتق الرقبة المؤمنة وذكر حديث الأمة السوداء التي سودت وجوه الجهمية وبيضت وجوه المحمدية، فلما وصفت الإيمان قال: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[٣]، وهي إنما وصفت كون ربها في السماء، وأن محمدا عبده ورسوله؛ فقرنَتْ بينهما في الذكر؛ فجعل الصادق المصدوق مجموعهما هو الإيمان.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ.

(٢) كما روى أحمد بسند صحيح في مسنده (٧٩٠٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ أَعْجَمِيَّةٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ عَلَيَّ عِتْقَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله: « أَيْنَ اللهُ؟» فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ بِإِصْبَعِهَا السَّبَّابَةِ، فَقَالَ لَهَا: «مَنْ أَنَا؟» فَأَشَارَتْ بِإِصْبَعِهَا إِلَى رَسُولِ الله وَإِلَى السَّمَاءِ، أَيْ: أَنْتَ رَسُولُ الله، فَقَالَ: «أَعْتِقْهَا».

(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ.

....

السادس عشر: إخباره سبحانه عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبر به من أنه سبحانه فوق السماوات، فقال: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، فكذب فرعون موسى في إخباره إياه بأن ربه فوق السماء.

وعند الجهمية لا فرق بين الإخبار بذلك وبين الإخبار بأنه يأكل ويشرب، وعلى زعمهم يكون فرعون قد نزه الرب عما لا يليق به وكذب موسى في إخباره بذلك؛ إذ من قال عندهم: إن ربه فوق السماوات فهو كاذب، فهم في هذا التكذيب موافقون لفرعون مخالفون لموسى ولجميع الأنبياء، ولذلك سماهم أئمة السنة فرعونية قالوا: وهم شر من الجهمية؛ فإن الجهمية يقولون: إن الله في كل مكان بذاته، وهؤلاء عطلوه بالكلية، وأوقعوا عليه الوصف المطابق للعدم المحض، فأي طائفة من طوائف بني آدم أثبتت الصانع على أي وجه كان قولهم خيرا من قولهم.

السابع عشر: إخباره ﷺ «أنه تردد بين موسى وبين الله ويقول له موسى: ارجع إلى ربك فسله التخفيف، فيرجع إليه ثم ينزل إلى موسى فيأمره بالرجوع إليه سبحانه، فيصعد إليه سبحانه ثم ينزل من عنده إلى موسى»، عدة مرار(١).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢)، من حديث مالك بن صعصعة ﷺ.

....

الثامن عشر: إخباره تعالى عن نفسه وإخبار رسوله عنه أن المؤمنين يرونه عيانا جهرة كرؤية الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر[١]، والذي تفهمه الأمم على اختلاف لغاتها وأوهامها من هذه الرؤية رؤية المقابلة والمواجهة التي تكون بين الرائي والمرئي فيها مسافة محدودة غير مفرطة في البعد فتمتنع الرؤية ولا في القرب فلا تمكن الرؤية، لا تعقل الأمم غير هذا، فإما أن يروه سبحانه من تحتهم - تعالى الله - أو من خلفهم أو من أمامهم أو عن أيمانهم أو عن شمائلهم أو من فوقهم، ولا بد من قسم من هذه الأقسام إن كانت الرؤية حقا، وكلها باطل سوى رؤيتهم له من فوقهم كما في حديث جابر الذي في المسند[٢] وغيره «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم، فإذا الجبار قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم ثم قرأ قوله: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس:٥٨]، ثم يتوارى عنهم، وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم»[٣]، ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية، ولهذا طرد الجهمية أصلهم وصرحوا بذلك، وركبوا النفيين معا، وصدق أهل السنة بالأمرين معا، وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى علو الرب على خلقه واستواءه على عرشه مذبذبا بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٣)، ومسلم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) لم أجده في مسند أحمد.

(٣) ضعيف: رواه ابن ماجه (١٨٤)، وضعفه الألباني.

....

فهذه أنواع من الأدلة السمعية المحكمة إذا بسطت أفرادها كانت ألف دليل على علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه؛ فترك الجهمية ذلك كله وردوه بالمتشابه من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، ورده زعيمهم المتأخر بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، وبقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]»[1].

فائدة: العلو ثلاثة أنواع[2]:

الأول: علو قهر: معناه أن الله لا مغالب له ولا منازع، بل كل شيء تحت سلطان قهره ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾ [ص:٦٥]، وقد جمع الله تعالى بين علو الذات والقهر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

الثاني: علو الشأن: معناه أن الله تعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ۝١١١﴾ [الإسراء:١١١].

هذان النوعان من العلو لم يخالف فيهما أحد ممن يدعي الإسلام وينتسب إليه، وإنما ضل من ضل منهم وأخطأ في التنزيه الذي هو مقصوده.

---

(١) انظر: إعلام الموقعين، لابن القيم (٢/ ٢١٥-٢١٧).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة، لابن القيم (٤/ ١٣٢٤)، ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي (١/ ١٤٤).

على عَرْشه (١)، وَهُوَ دَان بِعِلْمِهِ من خلقه (٢).

الثالث: علو الذات: معناه أن الله عال بذاته على خلقه بائنا منهم ومستويا على عرشه.

وهذا النوع أنكرته الجهمية، والحلولية، والاتحادية.

(١) **قوله:** «**على عرشه**»: لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَلِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»[٢].

والعرش: هو السرير للمُلك، وسمي بذلك من العروش، وهو الارتفاع[٣].

(٢) **قوله:** «**وهوَ دان بعِلمهِ من خلقه**»: أي قريب سبحانه وتعالى من خلقه، يعلم كل شيء ولا يغيب عنه علم شيء؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه:٥-٧].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

(٣) انظر: كتاب العين، مادة «عرش».

....

فجمع الله تعالى في هذا الآيات بين استوائه على عرشه، وبين علمه السر وأخفى.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد:٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة:٧].

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزَاةٍ، فقَالَ: «الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ»(١).

❑ ❑ ❑

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤)، واللفظ له.

[إثبات الصفات بلا تمثيل ولا تشبيه]

[٤] الوَاحِد (١) الصَّمد (٢)، ....

(١) **قوله**: «**الوَاحِد**»: أي في ذاته، وأسمائه، وصفاته، فلا شبيه له، ولا مثيل، الذي لا ضد له، ولا ند له، ولا شريك له في إلهيته وربوبيته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ [ص:٦٥] .

وقال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف:٣٩].

أي: المعبود بحق المتفرد في ذاته وصفاته الذي لا ضد له ولا ند ولا شريك، القهار الذي لا يغالبه مغالب، ولا يعانده معاند[(١)].

(٢) **قوله**: «**الصَّمد**»: أي الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم، وهو السيد الذي قد كمل في سُؤدُده، والشريف الذي قد كمُل في شرفه، والعظيم الذي قد كمُل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمُل في علمه، والحكيم الذي قد كمُل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار[(٢)].

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٣٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٥٢٨).

لَيْسَ لَهُ صَاحِبَة وَلَا ولد (١)، جلَّ عَن المثيل (٢)، فَلَا شَبيه لَهُ (٣)، ....

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، فَالصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَمُوتُ وَلَا يُورَثُ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص:٤]، قَالَ: «لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا عِدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»[١].

(١) **قوله**: «**ليس له صاحبة ولا ولد**»: فهو المنزَّه عن الزوجة، والولد ﷻ؛ كما قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن:٣].

وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ [المؤمنون:٩١].

(٢) **قوله**: «**جلّ عن المثيل**»: أي تقدس وتنزه أن يكون له مثل في ذاته، أو في صفاته، أو في أسمائه، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

(٣) **قوله**: «**فلا شبيه له**»: أي لا يشبه أحدا من خلقه.

قال نعيم بن حمَّاد: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، وَمن أنكر مَا وصف بِهِ نَفسه فقد كفر، وَلَيْسَ مَا وصف الله بِهِ نَفسه وَلَا رَسُوله تَشْبِيها»[٢].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٣٦٤)، وأحمد (٢٥/ ١٤٤)، وقال الألباني: حسن دون قوله «والصمد الذي..».

(٢) انظر: العلو، للإمام الذهبي، صـ(١٧٢).

وَلَا عديل (١)، السَّمِيع (٢) البَصِير (٣) ....

---

(١) **قوله**: «**ولا عديل**»: أي لا مثل له ولا مكافئ ولا مساوٍ ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٤].

والعديل الذي يعادلك في المحمل[1].

(٢) **قوله**: «**السَّميع**»: أي الذي وسع سمعه جميع المسموعات، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

فائدة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: طريقة السلف تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل[2].

(٣) **قوله**: «**البَصير**»: الذي وسع بصره جميع المبصرَات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٢٠﴾ [غافر:٢٠].

---

(١) انظر: كتاب العين، مادة، «عدل».

(٢) انظر: الرسالة التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، صـ (٨).

العَلِيم (١) الخَبِير (٢)، ....

أي: السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه، محْص صغيره وكبيره[(١)].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ»[(٢)].

(١) **قوله**: «**العليم**»: أي المحيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة:٢١٥].

وقال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف:٨٩].

(٢) **قوله**: «**الخبير**»: أي الخبير بكل ما يعملونه ويكسبونه من حسَن وسيئ، حافظ ذلك عليهم؛ ليجازيهم على كل ذلك[(٣)]، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران:١٨٠].

وقال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام:٧٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٤١).

المنيع (١) الرفيع (٢).

(١) **قوله**: «**المنيع**»: أي العزيز الذي لا يُغْلَبُ[١]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ٦٦﴾ [هود:٦٦].

وليس المنيع من أسماء الله ﷻ؛ لأنه لم يرد فيه نص، وإثبات الأسماء توقيفية يتوقف فيها على النص.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

أي: ولا تقل ما ليس لك به علم[٢].

(٢) **قوله**: «**الرفيع**»: أي العالي ﷻ بذاته وأسمائه وصفاته، والرفيع بذاته سبحانه عن قول كل غاوٍ ملحد، والرّفعة نقيض الذّلّة[٣]، وليس المنيع من أسماء الله ﷻ؛ لأنه لم يرد فيه نص، وإثبات الأسماء توقيفية يتوقف فيها على النص.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف:٣٣].

❑ ❑ ❑

(١) انظر: شأن الدعاء، للخطابي، صـ (٤٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٤٦).

(٣) انظر: كتاب العين، مادة «رفع».

[الإيمان بالقضاء والقدر]

[٥] أحَاط علمه بالأمور (١)، وأنفذ فِي خلقه سَابق المَقْدُور (٢)..............

---

(١) **قَوْلُهُ**: «**أحَاط علمه بالأمور**»: أي أن الله تعالى أحاط بكل شيء علما، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، فعلم الله ﷻ محيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات، والممكنات، والمستحيلات، هذا فيه إشارة إلى مرتبة العلم.

وعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، يَقُولُ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(١).

(٢) **قَوْلُهُ**: «**وأنفذ فِي خلقه سَابق المقدُور**»: أي ما قدره الله على خلقه من خير وشر لا بد أن يقع، فلا راد لقضائه ﷻ، وهذا فيه إشارة لمرتبة الكتابة، ومعناها أن الله تعالى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٥٩).

....

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان:٢].

قال الحافظ ابن كثير: يَستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل بُرئها، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة ﷺ[1].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «اعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[2].

وعَنْ عبدِ الله بنِ عمرٍو رضي الله عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ ألفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»[3].

قال العلماء: «المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له»[4].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٧/ ٤٨٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٦/ ٢٠٣).

﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر:١٩] (١)، ....

وقوله ﷺ: «وعرشه على الماء» أي: قبل خلق السماوات والأرض»[1].

وعَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف:١٧٢]، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ العَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ الجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ»[2].

(١) **قوله**: «﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾»: يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها؛ ليحذَر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة،

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٨/ ١٤١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٠٣)، والنسائي في الكبرى (١١١٢٦)، وأحمد (١/ ٤٠٠)، وصححه أحمد شاكر.

فالخلق عاملون بسابق علمه (١)، ونافذون لما خلقهمْ لَهُ من خير وَشر (٢)، ....

ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: «هُوَ الرَّجُلُ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ البَيْتِ بَيْتَهُمْ، وَفِيهِمُ المَرْأَةُ الحَسْنَاءُ، أَوْ تَمُرُّ بِهِ وَبِهِمُ المَرْأَةُ الحَسْنَاءُ، فَإِذَا غَفَلُوا لَحَظَ إِلَيْهَا، فَإِذَا فَطِنُوا غَضَّ، فَإِذَا غَفَلُوا لَحَظَ، فَإِذَا فَطِنُوا غَضَّ بَصَرَهُ عَنْهَا، وَقَدِ اطَّلَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ وَدَّ أَنْ لَوِ اطَّلَعَ عَلَى فَرْجِهَا»(٢).

(١) **قوله**: «**فالخلق عاملون بسابق علمه**»: أي أن الله ﷻ علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم؛ وهذا فيه رد على القدرية الغلاة الذين يقولون: إن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها.

قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الحشر:٢٢].

وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

(٢) **قوله**: «**ونافذون لما خلقهم له من خير وشر**»: أي سائرون ماضون لما قدره وكتبه عليهم، وهذا فيه إشارة إلى مرتبة المشيئة، ومعناها أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠].

وعن ابنِ مسعودٍ ﷺ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٣٧).

(٢) انظر: السابق (٧/ ١٣٧)، وفتح الباري (١١/ ٩).

لَا يملكُونَ لأَنْفُسِهِمْ من الطَّاعَة نفعا، وَلَا يَجدونَ إِلَى صرف المعْصِيَة عَنْهَا دفعا (١)،

مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[١].

(١) **قوله**: «**لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعا، ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعا**»: أي لا يملك العباد نفع أنفسهم بطاعة؛ لأن الذي يعلم قبولها وردها هو الله ﷻ، وإنما أمر الله العباد بفعل الطاعات، كما لا يملك العباد دفع المعصية عنهم، وإنما أمرهم بالاستغفار منها والتوبة.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧﴾ [يونس:١٠٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد:١١].

وكما في حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما المتقدم، قَالَ: قال لي رسول الله ﷺ: «اعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[٢].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

خلق الخلق بمشيئته (١) عَن غير حَاجَة كَانَت بِهِ (٢).

---

(١) **قوله**: «**خلق الخلق بمشيئته**»: التي هي الإرادة الكونية الشاملة النافذة، وفي هذا إشارة إلى مرتبة الخلق، ومعناها أن الله خلق كل شيء، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرعد:١٦].

(٢) **قوله**: «**عن غير حاجة كانت به**»: أي لم يخلق الخلق لحاجته إليهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾ [الأنعام:١٣٣].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ»(١).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧).

....

فائدة: بهذا يتبين أن الإيمان بالقدر لا يتحقق إلا بالإيمان بأربعة مراتب ذكرها المصنف، وهي:

المرتبة الأولى: العلم، ومعناها: أن الله علم كل شيء، كما قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الحشر:٢٢].

وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢].

المرتبة الثانية: الكتابة؛ ومعناها: أن الله ﷻ كتب كل شيء في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة؛ قال الله ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس:١٢].

المرتبة الثالثة: المشيئة؛ ومعناها أن ما شاء الله كان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢]، وما لم يشأ الله تعالى لم يكن؛ لعدم مشيئة الله تعالى إياه، وليس لعدم قدرته عليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام:٣٥].

والمشيئة هنا ترادف الإرادة الكونية القدرية.

والإرادة تنقسم إلى كونية وشرعية، والكونية ترادف المشيئة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠].

ومثال الإرادة الشرعية: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء:٢٧].

المرتبة الرابعة: الخلق، ومعناها: أن الله خالق كل شيء، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام:١٠٢].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد:١٦].

❑ ❑ ❑

[الإيمان بالملائكة]

[٦] وخلق المَلَائِكَة جَمِيعًا لطاعته، وجبلهم على عِبَادَته (١)؛ ....

(١) **قوله: «وخلق الملائكة جميعًا لطاعته، وجبلهم على عبادته»**: أي أن الله ﷻ خلق الملائكة لطاعته، وجبلهم على ذلك، فلا يعصون الله ما أمرهم؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم:٦].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي مهما أمرهم به تعالى يبادروا إليه، لا يتأخرون عنه طرفة عين، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه»(١).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۝٣٨﴾ [فُصِّلَت:٣٨].

والملائكة: لغة: جمع مَلَك، وهو تخفيف ملأك، والأصل مألك، فقدموا اللام وأخروا الهمزة، فقالوا: ملأك، وهو مَفعَل من الأَلُوكِ، وهو الرسالة(٢).

وشرعا: هم عباد الله المكرمون ورسله بينه تعالى وبين رسله من أهل الأرض عليهم السلام، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، خلقهم من نور.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٦٨).

(٢) انظر: العين، مادة «ملك».

فَمنهمْ مَلَائِكَة بقدرته للعرش حاملون (١)، وَطَائِفَة مِنْهُم حول عَرْشه يسبحون(٢)، ....

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ»(١).

(١) **قوله**: «**فمنهمْ ملائِكةٌ بقدرته للعرش حاملون**»: أي من الملائكة من أوكل الله إليهم حمل عرشه، ولو شاء الله تعالى لحمل العرش بدونهم، فالملائكة تحمل العرش لا لأجل أن الله في حاجة إلى ذلك، وإنما لأجل أن الله أراد أن تحمل الملائكة عرشه، وذلك بقدرته.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر:٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾ [الحاقة:١٧].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»(٢).

(٢) **قوله**: «**وطائفةٌ منهُم حول عرشه يسبحون**»: أي مجموعة من الملائكة يسبحون الله تعالى حول العرش؛ قيل: هم الكُروبيُّون.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٢٧).

وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يقدسون (١)، ....

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزُّمَر:٧٥].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر:٧].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: «يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة، ومن حوله من الكُرُوبِيِّينَ، بأنهم يسبحون بحمد ربهم، أي: يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح»[١].

والتسبيح: هو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء، والتنزيه: التبعيد، والعرب تقول: سبحان من كذا، أي ما أبعده[٢].

(١) **قوله**: «**وآخرون بحمده يقدسون**»: أي من الملائكة مجموعة وظيفتهم تنزيه الله تعالى عن النقائص، ومشابهة المخلوقين، والتقديس: تنزيه الله ﷻ[٣].

قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٧/ ١٣٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، مادة، «سبح».

(٣) انظر: لسان العرب، مادة «قدس».

وَاصْطفى مِنْهُم رسلًا إِلَى رسله (١)، ....

وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠] .

وقوله: ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ أي: لا يتعبون ولا يملون، فهم دائبون في العمل ليلا ونهارا، مطيعون قصدا وعملا قادرون عليه، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم:٦][1].

(١) **قوله**: «**واصْطفى منْهُم رسلًا إلى رسله**»: أي اختار واجتبى من ملائكته رسلا بينه وبين رسله إلى أهل الأرض لإبلاغ رسالاته، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٥].

وقال تعالى: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢].

و﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾: هم حملة العرش[2].

ومن هؤلاء الملائكة الذين اصطفاهم جبريل عليه السلام، وهو أفضل الملائكة المصطفين، الموكل بالوحي بين الله ورسله عليهم السلام، وهو الروح الأمين عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٩٧﴾ [البقرة:٩٧].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٣٦).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣١٥).

وَبَعضٌ مدبرون لأَمره (١).

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣﴾ [الشعراء:١٩٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١﴾ [التكوير:١٩-٢١١٩].

(١) **قوله**: «**وبعضٌ مدبرون لأمره**»: أي من الملائكة من يدبر أمر الله ﷻ، مثل الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله ﷻ، وهو ميكائيل ؑ، وهو ذو مكانة علية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه ﷻ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله ﷻ.

ومنهم الموكل بالنفخ في الصور، وهو إسرافيل ؑ، ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه ﷻ:

الأولى: نفخة الفزع.

والثانية: نفخة الصعق.

والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا»[1].

ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت وأعوانه، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٤٣١)، وحسنه، وأحمد (٥/ ١٤٥)، وصححه الألباني.

إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١].

ومنهم الموكل بحفظ العبد في كل حالاته، وهم المعقِّبات، كما قال الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١٠-١١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه[1].

وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال الملك: وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه[2].

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون، وهؤلاء يشملهم مع من قبلهم قوله ﷻ: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٣٨).

(٢) انظر: السابق (٤/ ٤٣٨).

....

وقال تعالى فيهم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزُّخرُف:٨٠].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق:١٧-١٨].

قال البغوي في تفسير الآية: «أي يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات»(١).

ومنهم الموكلون بفتنة القبر، وهم المنكر والنكير، يسألن العبد ثلاثة أسئلة.

- من ربك؟
- من نبيك؟
- ما دينك؟

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ»(٢).

ومنهم خزنة الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّمَر:٧٣].

---

(١) انظر: تفسير البغوي، (٧/ ٣٥٨).

(٢) حسن: رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني.

....

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٤] [الرعد:٢٣].

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم وفي يوم القيامة بالجنة، كما قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١﴾ [فُصِّلَت: ٣٠-٣١].

وقال تعالى فيهم: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾[الأنبياء:١٠٣].

ومنهم خزنة جهنم، وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾[الزُّمَر: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾[غافر: ٤٩-٥٠].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم:٦].

ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم، كما في حديثِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[(١)].

ومنهم الموكل بالجبال، كما في حديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أنها قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[1].

❑ ❑ ❑

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

[خلق آدم عليه السلام وابتلاؤه]

[٧] ثمَّ (١) خلق آدم بِيَدِهِ (٢) وَأَسْكَنَهُ جنته (٣)، ....

---

(١) **قوله**: «**ثمَّ**»: أي بعد خلقه ملائكته عليهم السلام خلق آدم عليه السلام، و «ثم» تفيد الترتيب مع التراخي.

(٢) **قوله**: «**خلق آدم بيدِهِ**»: أي خلق الله عز وجل آدم عليه السلام بيده، وهذا فيه تشريف لآدم عليه السلام[١]، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ [ص:٧٥].

ويد الله يد حقيقية تليق بجلاله سبحانه وتعالى لا تشبه أيدي المخلوقين، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:١١].

(٣) **قوله**: «**وأسكنه جنته**»: أي جنة الخلد[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾ [البقرة:٣٥-٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف:٢٧].

---

(١) انظر: الوجيز، للواحدي (١/ ٩٢٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٣٤).

وَقبل ذَلِك للْأَرْض خلقه(١)،وَنَهَاهُ عَن شَجَرَة (٢) قد نفذ قَضَاؤُهُ عَلَيْهِ بأكلها (٣)،

---

(١) **قوله**: «**وقبل ذلِك للأرض خلقه**»: أي أن الله ﷻ لم يخلق آدم ليعيش في الجنة، إنما خلقه ليعيش في الأرض؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠].

(٢) **قوله**: «**ونهاه عن شجرة**»: أي عن الأكل من شجرة عينها له؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه:١١٥-١٢٢].

(٣) **قوله**: «**قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها**»: أي نفذ قضاء الله الكوني الذي لا يرد على آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة التي نهاه عنها.

فائدة: القضاء قسمان(١):

الأول: قضاء كوني، وهو مشيئته الشاملة، وقدرته النافذة، وليس لأحد خروج منها، ولا محيد عنها، ولا ملازمة بينها، وبين المحبة والرضا، بل يدخل فيها الكفر

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٤٥-١٥٤)، ومجموع الفتاوى (١٨/ ١٣٢).

ثمَّ ابتلاه بِمَا نَهَاهُ عَنهُ مِنْهَا (١)، ثمَّ سلط عَلَيْهِ عدوه فأغواه عَلَيْهَا (٢)،..............

والإيمان والسيئات والطاعات كل ذلك بمشيئته وقدره، وخلقه، وتكوينه، ولا سبيل إلى مخالفتها، ولا يخرج عنها مثقال ذرة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة:١١٧].

الثاني: قضاء شرعي، وهو المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه ولا ينهى إلا عما يكرهه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

(١) **قوله**: «**ثمَّ ابتلاه بما نهاهُ عنه مِنها**»: أي اختبره بالأكل من شجرة الخلد التي نهاه عن الأكل منها.

(٢) **قوله**: «**ثمَّ سلط عليْهِ عدوه فأغواه عليْها**»: أي قدر الله ﷻ على آدم إغواء إبليس إياه بالوسوسة؛ ليأكل من الشجرة، فزين له إبليس الأكل منها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «حَاجَّ مُوسَى آدَمَ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاسَ مِنَ الجَنَّةِ بِذَنْبِكَ وَأَشْقَيْتَهُمْ، قَالَ: قَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى، أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي - أَوْ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي - »، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[1].

وَجعل أكله لَهَا إِلَى الأَرْض سَببا (١)، فَما وجد إِلَى ترك أكلهَا سَبِيلا، وَلَا عَنهُ لَهَا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٣٨)، ومسلم (٢٦٥٢).

مذهبا (٢).

---

(١) **قوله**: «**وجعل أكله لها إلى الأرض سببا**»: أي جعل الله ﷻ أكل آدم عليه السلام من الشجرة سببا لاستقراره في الأرض، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤﴾ [الأعراف: ٢٤].

(٢) **قوله**: «**فما وجد إلى ترك أكلها سبيلا، ولا عنه لها مذهبا**»: لأن الله سبحانه وتعالى قدر عليه كونا أن يأكل منها.

❑ ❑ ❑

[أهل الجنة وأهل النار]

[٨] ثمَّ خلق للجنة من ذُرِّيَّته أَهلا (١)، ....

(١) **قوله**: «**ثمَّ خلق للجنة من ذُريَّته أهلا**»: أي خلق الله من ذرية آدم أهل الجنة، فعَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف:١٧٢]، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، فَفِيمَ العَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ الجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ»[(١)].

وعَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٠٣)، والنسائي في الكبرى (١١١٢٦)، وأحمد (١/ ٤٠٠)، وصححه أحمد شاكر.

فهم بأعمالها (١) بمشيئته عاملون (٢) وبقدرته وبإرادته ينفذون (٣).

[٩] وَخلق من ذُريَّته للنار أَهلا (٤)؛ ....

شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل:٥-١٠][(١)].

(١) **قوله**: «**فهم بأعمالها**»: أي بأعمال الجنة، وهي الطاعات.

(٢) **قوله**: «**بمشيئته عاملون**»: أي بمشيئته النافذة الكونية والشرعية.

(٣) **قوله**: «**وبقدرته وبإرادته ينفذون**»: أي يفعلون ما أراده الله وقدره؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد:١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩].

(٤) **قوله**: «**وَخلق من ذُريَّته للنار أهلا**»: أي خلق من ذرية آدم أهل النار، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله طُوبَى لِهَذَا، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الجَنَّةِ لَمْ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

فخلق لهم أعينا لا يبصرون بهَا، وآذانا لَا يسمعُونَ بها، وَقُلُوبًا لَا يفقهُونَ بهَا (١)،

يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»[(١)].

(١) **قوله**: «**فخلق لهم أعينا لا يبصرون بها، وآذانا لا يسمعون بها، وقلوبا لا يفقهون بها**»: أي لا يبصرون، ولا يسمعون، ولا يفقهون الحق؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)﴾ [المُلك:١٠].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: يقول الله جل ذكره: لقد خلقنا وجعلنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، وهيأناهم لها، وبعمل أهلها يعملون، فإنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلائق، علم ما هم عاملون قبل كونهم، فكتب ذلك عنده في كتاب قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما ورد في صحيح مسلم، عَنْ عبدِ الله بنِ عمرٍو رضي الله عنهما، أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ ألفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ يعني: ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سببا للهداية، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحقاف:٢٦].

وقال تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة:١٨]، هذا في حق المنافقين.

وقال في حق الكافرين: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١].

ولم يكونوا صما بكما عميا إلا عن الهدى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال:٢٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزُّخرُف:٣٧].

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ أي: هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يبصرون الهدى، كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا في الذي يعيشها من ظاهر الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة:١٧١]، أي: ومثلهم -في حال دعائهم إلى الإيمان- كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا

فهم بذلك عَن الهدى محجوبون (١)، وبأعمال أهل النَّار بسابق قدره يعْملُونَ (٢).

صوته، ولا تفقه ما يقول[١].

(١) **قوله**: «**فهم بذلك عَن الهدى محجوبون**»: أي عن اتباع الحق ممنوعون بسبب إعراضهم عن الهدى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء:٢١٢].

(٢) **قوله**: «**وبأعمال أهل النّار بسابق قَدرِه يعملون**»: أي لما أراد أن يخلق الخلائق، علم ما هم عاملون قبل خلقهم، فهم يعملون بسابق قدره ﷻ، كما في حديث عُمَرَ رضي الله عنه المتقدم: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، فَفِيمَ العَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷯ إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ الجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ»[٢].

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥١٣-٥١٤).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٠٣)، والنسائي في الكبرى (١١١٢٦)، وأحمد (١/ ٤٠٠)، وصححه أحمد شاكر.

[الإيمان قول وعمل يزيد وينقص]

[١] وَالإِيمَان (١) ....

(١) **قوله**: «**وَالإِيمَان**»: **الإيمان لغة**: هو الإقرار والتصديق، يقال: آمنت بكذا إذا أقررته، وصدقت به[١].

قال شيخ الإسلام: «معلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد»[٢].

والإيمان شرعا: قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٣].

قال الشافعي رضي الله عنه: «كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر»[٤].

وقال البخاري رضي الله عنه: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر لقيتهم كرات قرنا بعد قرن ثم قرنا بعد قرن[٥]، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين والبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة «آمن».

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨).

(٣) انظر: السابق (٣/ ١٥١).

(٤) انظر: السابق (٧/ ٢٠٩).

(٥) المراد بالقرن: الطبقة من العلماء.

....

بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي أهل خراسان»، وذكر بعضهم، ثم قال: «واكتفينا بتسمية هؤلاء كي يكون مختصرا، وأن لا يطول ذلك، فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء: أن الدين قول وعمل؛ وذلك لقول الله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥]»[1].

وقال ابن عبد البر: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه، فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيمانا قالوا: إنما الإيمان التصديق والإقرار، ومنهم من زاد: والمعرفة»[2].

فائدة: إذا عدي الإيمان في النصوص الشرعية باللام صُرِف إلى المعنى اللغوي، وإذا عُدِّي بالباء صرف إلى المعنى الشرعي.

ومن الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف:١٧].

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ [العنكبوت:٢٦].

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (١/ ١٣٤-١٣٥).

(٢) انظر: التمهيد، لابن عبد البر، (٩/ ٢٣٨).

قَول وَعمل، مَعَ اعْتِقَاده بالجنان: قَول بِاللِّسَانِ، وَعمل بالجوارح والأركان(١)،

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ [النساء:١٥٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النور:٦٢].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﵁، أن جبريلَ قالَ للنبيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

(١) **قوله**: «**قول وعمل مع اعتقاده بالجنان: قول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان**»: أي أن حقيقة الإيمان تتكون من أربعة أمور:

الأول: قول القلب وهو تصديقه وإيقانه، ومن الأدلة على أن قول القلب من الإيمان:

قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾[الزُّمَر:٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحُجُرات:١٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحُجُرات:١٥]، أي صدَّقوا ثم لم يشكوا(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، واللفظ له.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣١٨).

....

وفي حديث الشفاعة: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً[١]، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً[٢]»[٣].

قال شيخ الإسلام: «فمجرد علم القلب بالحق إن لم يقترن به عمل القلب بموجب علمه مثل محبة القلب له واتباع القلب له لم ينفع صاحبه بل أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»[٤].

الثاني: قول اللسان، وهو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والإقرار بلوازمها، قال الله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة:١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣﴾ [القصص:٥٣].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ

(١) برة: أي قمحة.

(٢) ذرة: أي نملة صغيرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩١)، من حديث أنس ﷺ.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧١).

عَلَى الله»[١].

قال شيخ الإسلام: «فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطنا وظاهرا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها، وذهبت طائفة من المرجئة، وهم جهمية المرجئة: كجهم والصالحي وأتباعهما إلى أنه إذا كان مصدقا بقلبه كان كافرا في الظاهر دون الباطن»[٢].

الثالث: عمل القلب، وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله ﷻ والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، ومن الأدلة على أن عمل القلب من الإيمان:

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل:١٩-٢٠].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج:٣٥].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٠).

(٢) انظر: قبل السابق (٧/ ٦٠٩).

....

هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»[٢].

قال شيخ الإسلام: «عامة فرق الأمة تدخل ما هو من أعمال القلوب حتى عامة فرق المرجئة تقول بذلك، وأما المعتزلة والخوارج وأهل السنة وأصحاب الحديث فقولهم في ذلك معروف.

وإنما نازع في ذلك من اتبع جهم بن صفوان من المرجئة وهذا القول شاذ كما أن قول الكرامية الذين يقولون: هو مجرد قول اللسان شاذ أيضا، وهذا أيضا مما ينبغي الاعتناء به.

فإن كثيرا ممن تكلم في مسألة الإيمان هل تدخل فيه الأعمال؟ وهل هو قول وعمل؟ يظن أن النزاع إنما هو في أعمال الجوارح، وأن المراد بالقول: قول اللسان، وهذا غلط؛ بل القول المجرد عن اعتقاد الإيمان ليس إيمانا باتفاق المسلمين؛ فليس مجرد التصديق بالباطن هو الإيمان عند عامة المسلمين إلا من شذ من أتباع جهم والصالحي، وفي قولهم من السفسطة العقلية والمخالفة في الأحكام الدينية أعظم مما في قول ابن كرام إلا من شذ من أتباع ابن كرَّام وكذلك تصديق القلب الذي ليس معه حب لله، ولا تعظيم بل فيه بغض، وعداوة لله ورسله ليس إيمانا باتفاق

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٢٩)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤).

وهما (١) سِيَّان (٢) ....

المسلمين»(١).

الرابع: عمل اللسان والجوارح، فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار، وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها مثل القيام والركوع، ومن الأدلة على أن عمل اللسان والجوارح من الإيمان:

قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد:٢٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجُرات:١٥].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب:٤١].

وعن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ لوفد عبد القيس: «آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِالله، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِالله؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»(٢).

(١) **قوله**: «**وهما**»: أي القول والعمل.

(٢) **قوله**: «**سيّان**»: أي مثلان، أراد بهما: سواءان، غير أنّ العرب تقول: هما سواء، وكذلك في الجميع والواحد، وإذا جمعوا سِيّان(٣).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٥٦)، ومسلم (١٧).

(٣) انظر: كتاب العين، مادة «سيي».

ونظامان (١)، وقرينان (٢)، لَا نفرق بَينهمَا (٣)، لَا إِيمَان إِلَّا بِعَمَل (٤)، وَلَا عمل إِلَّا بإِيمَان (٥).

[١١] والمؤمنون فِي الإِيمَان يتفاضلون (٦)، ....

---

(١) **قوله**: «**ونظامان**»: أي ما ينضم بعضه إلى بعض.

(٢) **قوله**: «**وقرينان**»: أي متلازمان لا يفترقان، ولا ينفك أحدهما عن الآخر.

(٣) **قوله**: «**لا نفرق بينهما**»: في هذا تقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة، فهم لا يفرقون بين القول والعمل، فكلاهما من الإيمان.

(٤) **قوله**: «**لا إيمان إلا بعمل**»: أي لا إيمان صحيح إلا بالعمل، وفي هذا رد على المرجئة الذين يقولون: الإيمان قول وتصديق، ولا يدخلون فيه العمل.

(٥) **قوله**: «**ولا عمل إلا بإيمان**»: أي لا عمل مقبول إلا بالإيمان، وفي هذا رد على الكرامية الذين يقولون: الإيمان نطق باللسان فقط، دون اعتقاد بالقلب.

(٦) **قوله**: «**والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون**»: فالمؤمنون متفاوتون في الدين بتفاوت الإيمان في قلوبهم، متفاضلون فيه بحسب ذلك، فأفضلهم وأعلاهم أولو العزم من الرسل، وأدناهم المخلِّطون من أهل التوحيد، وفي هذا رد على المرجئة الذين يقولون: الإيمان شيء واحد وأهله فيه سواء.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

وبصالح الأَعْمَال هم متزايدون (١)، ....

وعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[١].

قال شيخ الإسلام: «الناس يتفاضلون في الإيمان والتقوى، فهم متفاضلون في ولاية الله بحسب ذلك كما أنهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك»[٢].

قال ابن بطة: «اعلموا رحمكم الله أن الله ﷻ تفضل بالإيمان على من سبقت له الرحمة في كتابه، ومن أحب أن يسعده، ثم جعل المؤمنين في الإيمان متفاضلين، ورفع بعضهم فوق بعض درجات»[٣].

(١) **قوله**: «**وبصالح الأعمال هم متزايدون**»: هذا تقرير لعقيدة السلف الصالح بأن الإيمان يزيد وينقص، ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الفتح:٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد:١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدَّثر:٣١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ١٧٥).

(٣) انظر: الإبانة الكبرى، لابن بطة (٢/ ٨٣٢).

....

أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»(١).

قال ابن بطة: «اعلموا رحمكم الله أن الله ﷻ تفضل بالإيمان على من سبقت له الرحمة في كتابه، ومن أحب أن يسعده، ثم جعل المؤمنين في الإيمان متفاضلين، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ثم جعله فيهم يزيد ويقوى بالمعرفة والطاعة، وينقص ويضعف بالغفلة والمعصية، وبهذا نزل الكتاب، وبه مضت السنة، وعليه أجمع العقلاء من أئمة الأمة، ولا ينكر ذلك ولا يخالفه إلا مرجئ خبيث، قد مرض قلبه، وزاغ بصره، وتلاعبت به إخوانه من الشياطين، فهو من الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف:٢٠٢]»(٢).

وقال شيخ الإسلام: «الصحابة قد ثبت عنهم، أن الإيمان يزيد وينقص، وهو قول أئمة السنة، وكان ابن المبارك يقول: هو يتفاضل ويتزايد، ويمسك عن لفظ ينقص، وعن مالك في كونه لا ينقص روايتان، والقرآن قد نطق بالزيادة في غير

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

(٢) انظر: الإبانة الكبرى، لابن بطة (٢/ ٨٣٢).

[١٢] وَلَا يخرجُون بِالذنُوبِ من الإِيمَان وَلَا يكفرون بركوب معصية وَلَا عصيان(١).

موضع ودلت النصوص على نقصه كقوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[١]، ونحو ذلك لكن لم يعرف هذا اللفظ إلا في قوله في النساء «ناقصات عقل ودين»[٢]، وجعل من نقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي، وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص؛ وذلك أن أصل أهل السنة أن الإيمان يتفاضل من وجهين: من جهة أمر الرب، ومن جهة فعل العبد»[٣].

(١) **قوله**: «**ولا يخرجون بالذنوبِ من الإيمان ولا يكفرون بركوب معصية ولا عصيان**»: أي إذا ارتكب المؤمن كبيرة من الكبائر التي ليست بشرك، فإنه يفسق بفعلها، وينقص إيمانه، ولا يخرج من الإيمان إلا إذا استحلها؛ لأنه حينئذ يكون مكذبا بالكتاب ومكذبا بالرسول ﷺ وذلك كفر بالكتاب والسنة والإجماع.

والدليل على فسقه ونقصان إيمانه قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ [النور: ٥].

---

(١) متفق عليه: وراه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩)، من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٥٠-٥١).

....

وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩﴾ [الحُجرات:٩]، فسمى الله تعالى كلا من الطائفتين المقتتلتين مؤمنة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ [النساء:٤٨].

وعن عَبْدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»(٢).

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧).

كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ»، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ[(١)].

وفي حديث الشفاعة: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً»[(٢)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[(٣)].

قال ابن أبي العز الحنفي: «أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة لكان مرتدا يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر! وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام؛ ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر.

ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضا، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ [البقرة:١٧٨] إلى أن قال: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩١)، من حديث أنس ﷺ.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وصححه الألباني.

[١٣] وَلَا نوجب لمحسنهم الجنان بعد من أوجب لَهُ النَّبِي ﷺ (١)، ....

بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]، فَلَمْ يُخْرِجِ القَاتِلَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَجَعَلَهُ أَخًا لِوَلِيِّ القِصَاصِ، وَالْمُرَادُ أُخُوَّةُ الدِّينِ بِلَا رَيْبٍ»[١].

فائدة: اختلف أهل البدع في مرتكب الكبيرة من المسلمين على ثلاثة أقوال[٢]:

القول الأول: كافر في الدنيا، مخلد في نار جهنم في الآخرة.

القائلون به: الخوارج.

القول الثاني: في منزلة بين المنزلتين، أي ليس بمسلم ولا كافر هذا في الدنيا، وخالد مخلد في نار جهنم في الآخرة.

القائلون به: المعتزلة.

القول الثالث: مؤمن كامل الإيمان، ولا يدخل النار.

القائلون به: المرجئة.

(١) **قوله**: «**ولا نوجب لمحسنهم الجنان بعد من أوجب له النبي ﷺ**»:

أي لا نشهد لأحد معين من أهل القبلة بالجنة إلا من شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة؛ كالعشرة المبشرين بالجنة، والحسن والحسين[٣]، وثابت بن قيس[٤]، وعبد الله بن

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، صـ(٣٢١-٣٢٢).

(٢) انظر: النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٥٨٢-٥٨٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٦٨)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١١٨)، والنسائي في الكبرى (٨١١٣)، وأحمد (١٧/ ٣١)، من حديث أبي سعيد ﷺ، وصححه الألباني.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١١٩)، من حديث أنس ﷺ.

وَلَا نشْهد على مسيئهم بالنَّار (١).

سلام ﷺ، وغيرهم.

عن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «عَشْرَةٌ فِي الجَنَّةِ النَّبِيُّ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ العَاشِرَ»، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ «سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ»(١).

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، قَالَ: «مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ»(٢).

(١) **قوله**: «**ولا نشهد على مسيئهم بالنار**»: أي لا نشهد على أحد معين من فساق المؤمنين بالنار إلا بنص من الكتاب أو السنة، أما الكافر الأصلي كالنصراني واليهودي، فنشهد له بالنار إن مات على كفره.

عَنْ عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ»(٣).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وصححه، وابن ماجه (١٣٣)، النسائي في الكبرى (٨١٣٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٨١٢).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (١٥٧٣)، وصححه الألباني.

....

وأخبر الله أن أبا لهب في النار، فقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المَسَد: ١-٣].

وأخبر النبي ﷺ أن عمرو بن لُحَيٍّ في النار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ خِنْدِفَ أَبَا بَنِي كَعْبٍ هَؤُلَاءِ، يَجُرُّ قُصْبَهُ[١] فِي النَّارِ»[٢].

وأخبر النبي ﷺ أن أصحاب القليب في النار، فعَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه، أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ[٣] قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ[٤] مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ[٥] مُخْبِثٍ[٦]، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ[٧]، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ

---

(١) قصبه: أي أمعاءه، واحدها قصب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٢١٢)، ومسلم (٢٨٥٦).

(٣) صناديد: جمع صنديد، وهو السيد الشجاع.

(٤) طوي: هي البئر التي بنيت جدرانها بالحجارة.

(٥) خبيث: غير طيب.

(٦) مخبث: أي زاد خبثه بإلقاء هؤلاء الخبيثين فيه.

(٧) شفة الركي: أي طرف البئر.

أَطَعْتُمُ(١) اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ»(٢).

❑ ❑ ❑

(١) أنكم أطعتم: أي لو أنكم أطعتم.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٩٣٢).

[القرآن كلام الله]

[١٤] وَالقُرْآن كَلَام الله ﷻ، وَمن لَدنه (١)، وَلَيْسَ بمخلوق فيبيد (٢).

---

(١) **قوله**: «**والقرآن كلام الله ﷻ، ومن لدنه**»: أي الله ﷻ تكلم بالقرآن حقيقة، وهو من عنده ﷻ، وليس من عند غيره.

والقرآن لغة: مصدر من قولك: قرأت إذا تلوت، ومن قولك: قرأت الشيء إذا جمعته[1]، وهو من كلام الله تعالى.

ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود:١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران:٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [النحل:٦٤].

(٢) **قوله**: «**وليس بمخلوق فيبيد**»: أي فيهلك، وهذا فيه رد على الحلولية والاتحادية، والجهمية، والمعتزلة، وغيرهم ممن يقولون: القرآن مخلوق.

ومن الأدلة على أن القرآن غير مخلوق:

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «قرأ».

قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فأخبر تعالى أن الخلق غير الأمر، وأن القرآن من أمره لا من خلقه(١).

وقد انعقد إجماع سلف الأمة على تكفير من قال بخلق القرآن.

قال مالك: «من قال القرآن مخلوق يوجع ضربا ويحبس حتى يموت»(٢).

وقال الشافعي: «القرآن كلام الله غير مخلوق»(٣).

قال أحمد بن حنبل: «من قال: القرآن مخلوق فهو عندنا كافر، لأن القرآن من علم الله ﷻ وفيه أسماء الله ﷻ»(٤).

وقال سفيان الثوري: «من زعم أن قول الله ﷻ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩﴾ [النمل:٩]مخلوق فهو كافر زنديق حلال الدم»(٥).

وقال النضر بن محمد المروزي: «من قال هذه الآية مخلوقة ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه:١٤]، فقد كفر»(٦).

---

(١) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، صـ(٦٣).

(٢) انظر: السنة، لعبد الله بن أحمد (١/ ١٠٦).

(٣) انظر: العرش، للإمام لذهبي، (٢/ ٢٩١).

(٤) انظر: السنة، لعبد الله بن أحمد (١/ ١٠٢).

(٥) انظر: السابق (١/ ١٠٦).

(٦) انظر: العلو، للإمام الذهبي، صـ(١٦١).

....

قال الإمام الذهبي: «أما تكفير من قال بخلق القرآن فقد ورد عن سائر أئمة السلف في عصر مالك والثوري، ثم عصر ابن المبارك ووكيع، ثم عصر الشافعي وعفان والقعنبي، ثم عصر أحمد بن حنبل وعلي بن المديني، ثم عصر البخاري وأبي زرعة الرازي، ثم عصر محمد بن نصر المروزي والنسائي ومحمد بن جرير وابن خزيمة»[١].

فائدة: حكم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق:

اشتهر عن الإمام أحمد، وأصحابه، وأصحاب مالك، والشافعي، والأشعري، وغيرهم: أن من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع[٢].

وقال الإمام أحمد: «اللفظية جهمية»، وقال: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع»[٣].

فائدة: حكم الواقفة:

الواقفة هم الذين يتوقفون في القرآن فلا يقولون: مخلوق، ولا غير مخلوق، وقد ذمهم من لا يُحصى عددهم من الأئمة، كالإمام أحمد والشافعي وإسحاق بن راهوية وغيرهم[٤].

---

(١) انظر: السابق، صـ(١٦١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٠٨).

(٣) انظر: السابق (٦/ ١٨٧).

(٤) انظر: السابق (١٢/ ٤٢٠-٤٢١).

قال الإمام أحمد: «من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي»، وقال مرة: «هم شر من الجهمية»، وقال مرة أخرى «هم جهمية»[1].

❑ ❑ ❑

(١) انظر: السنة، لعبد الله بن أحمد (١/ ١٦٤).

[صفات الله ﷻ]

[١٥] وكلمات الله (١)، ....

(١) **قوله**: «**وكلمات الله**»: هي القرآن الكريم[(١)]، وأسماء الله وصفاته، وأوامره ونواهيه، وهي صفات لله تعالى غير مخلوقة، لا تفنى ولا تبيد.

ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف:٢٧].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف:١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان:٢٧].

ولو كانت كلمات الله مخلوقة لما جاز الاستعاذة بها.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»[(٢)].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٩٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٣٧١).

وعنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»(١).

قال ابن عبد البر: «فيه دليل على أن كلمات الله غير مخلوقة؛ لأنه لا يستعاذ بمخلوق والقرآن كلامه جل جلاله»(٢).

وقال أيضا: «في هذا الحديث من الفقه أيضا أن كلام الله ﷻ غير مخلوق، وعلى ذلك أهل السنة أجمعون، وهم أهل الحديث والرأي في الأحكام، ولو كان كلام الله أو كلمات الله مخلوقة ما أمر رسول الله ﷺ أحدا أن يستعيذ بمخلوق»(٣).

وقال ابن الأثير: «إنما وصف كلامه بالتمام؛ لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص، أو عيب كما يكون في كلام الناس»(٤).

فائدة: كلمات الله قسمان(٥):

أحدهما: كلمات كونية، وهي التي لا يجاوزها بر ولا فاجر؛ فإنه يدخل تحتها جميع الخلق حتى إبليس، وجنوده، وجميع الكفار، وسائر من يدخل النار.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) انظر: الاستذكار، لابن عبد البر (٨/ ٤٤٤).

(٣) انظر: التمهيد، لابن عبد البر (٢١/ ٢٤١).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٩٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧١).

وقدرة الله (١)، ونعته وَصِفَاته، كاملات (٢)....................................

ومنها قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم:١٢]، وحديث ابن عباس وخولة رضي الله عنهما المتقدمين.

الثاني: كلمات دينية، وهي كتبه المنزلة، وما فيها من أمره ونهيه، فأطاعها الأبرار، وعصاها الفجار، وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية

(١) **قوله**: «**وقدرة الله**»: هي صفة لله تعالى غير مخلوقة تليق بجلاله لا تشبه صفات المخلوقين، لا تفنى ولا تبيد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٦٥﴾ [آل عمران:١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ [المائدة:١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾ [فاطر:٤٤].

وعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»(١).

(٢) **قوله**: «**ونعته وصِفاته، كاملات**»: أي غير ناقصات؛ لأن الله عز وجل منزه عن النقص، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ [النحل:٦٠].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

غير مخلوقات (١)، دائمات (٢) أزليات (٣)، وَلَيْسَت بمحدثات فتبيد (٤)، وَلَا كَانَ رَبنَا نَاقِصا فيزيد (٥).

[١٦] جلت صِفَاته عَن شبه صِفَات المخلوقين (٦)، ....

---

(١) **قوله**: «**غير مخلوقات**»: لأنها صفاته ﷻ، وصفات الله غير مخلوقة.

(٢) **قوله**: «**دائمات**»: أي لا تفنى، فصفات الله تعالى لا تنفك عنه.

(٣) **قوله**: «**أزليات**»: أي غير محدَثة، فالله تعالى متصف بصفاته أولا وآخرا.

(٤) **قوله**: «**وليسَت بمحدثات فتبيد**»: أي ليست صفاته محدثة فتفنى وتهلك، وهذا لكمال ربوبيته ﷻ.

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

(٥) **قوله**: «**ولا كان ربنا ناقِصا فيزيد**»: أي لم يزد الرب ﷻ شيئا بعد نقص، لأن تعطيل الله من صفاته نقص، والله منزه عن النقص.

(١) **قوله**: «**جلت صِفاته عن شبه صِفَات المخلوقين**»: أي أن الله ﷻ منزه أن تشبه صفاته صفات المخلوقين، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤].

وَقصرت عَنهُ فِطَن الواصفين(١)، قريب بالإجابة عِنْد السُّؤَال (٢)، ....

(١) **قوله**: «**وقصرت عنهُ فِطن الواصفين**»: أي لا يمكن للواصفين مهما علوا في الذكاء والفطنة أن يدركوا كُنْه صفاته ﷻ، ولا يمكن لفكر أن يتخيله؛ لأن الله تعالى لم يره أحد، ولم ير أحد مثيله، ولم يخبر أحد بكيفية صفاته ﷻ.

ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه:١١٠].

وفطن: أي ذكاء وفهم[١].

(٢) **قوله**: «**قريب بالإجابة عِند السؤال**»: أي يجيب دعوة السائل إذا سأله؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ»[٢].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «فطن».

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

بعيد بالتعزز لَا ينَال (١)، عَالٍ على عَرْشه، بَائِن من خلقه (٢)،....................

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ في قصة المجادِلَة: «الحَمْدُ لله الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١]»[١].

(١) **قوله**: «**بعيد بالتعزز لا ينال**»: أي بعيد عن خلقه بالقوة والغلبة فلا ينال بسوء وغيره.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي هو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره»[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود:٦٦].

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه:٥-٦].

(٢) **قوله**: «**عَالٍ على عَرْشه، بَائِن من خلقه**»: أي منفصل عن الخلق غير مختلط بهم، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥].

---

(١) صحيح: راه البخاري (٩/ ١١٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٤٤).

....

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة: «من لم يقل إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة؛ لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل الملة ولا أهل الذمة، وكان ماله فيئا»(١).

وقال ابن قتيبة: «ما زالت الأمم عربها وعجمها في جاهليتها وإسلامها معترفة بأن الله في السماء، أي على السماء، أو يقال: بل استوى سبحانه على العرش على الوجه الذي يليق بجلاله ويناسب كبرياءه وأنه فوق سماواته، وأنه على عرشه بائن من خلقه مع أنه سبحانه هو حامل للعرش، ولحَمَلَة العرش، وأن الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، كما قالت أم سلمة، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، ومالك بن أنس، فهذا مذهب المسلمين»(٢).

وقال الإمام معمر بن أحمد الأصبهاني: «إن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، والاستواء معقول، والكيف فيه مجهول، وأنه ﷻ مستو على عرشه بائن من خلقه والخلق بائنون منه بلا حلول، ولا ممازجة، ولا اختلاط، ولا ملاصقة؛ لأنه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق»(٣).

---

(١) انظر: الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٦/ ٤٧٤).

(٢) انظر: السابق (٦/ ٤٧٣).

(٣) انظر: الاستقامة، لابن تيمية (١/ ١٦٨).

مَوْجُود، وَلَيْسَ بمعدوم، وَلَا بمفقود (١).

وقال شيخ الإسلام: «أهل السنة والحديث وسلف الأمة متفقون على أنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وعلى ذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمة السنة بل على ذلك جميع المؤمنين من الأولين والآخرين وأهل السنة، وسلف الأمة متفقون على أن من تأول استوى بمعنى استولى أو بمعنى آخر ينفي أن يكون الله فوق سماواته فهو جهمي ضال»[1].

(١) **قوله**: «**مَوْجُود وليْسَ بمعدوم ولا بمفقود**»: هذا لكمال ربوبيته ﷻ، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ»[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٦/ ٤٦٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

[الإيمان باليوم الآخر]

[١٧] والخلق ميتون بآجالهم (١) ....

(١) **قوله**: «**والخلق ميتون بآجالهم**»: أي كل مخلوق له أجل محدود ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يقصر عنه.

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف:٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل:٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٥].

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه، حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

عِنْد نفاد أَرْزَاقهم وَانْقِطَاع آثَارهم (١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[١].

وعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود ﷺ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ الله ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي القَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ»[٢].

(١) **قوله**: «**عِنْد نفاد أرْزَاقهم وَانْقِطَاع آثَارهم**»: أي إذا نفد رزق العبد، وانقطع عمله المكتوب له في اللوح المحفوظ مات؛ ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، وينقطع عملها؛ لحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ»[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٣).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١٤٤)، وصححه الألباني.

[١٨] ثمَّ هم بعد الضغطة فِي القُبُور (١) مُساءلون (٢).

---

(١) **قوله**: «**ثمَّ هم بعد الضغطة فِي القبور**»: أي بعد ضغطة القبر، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»(١).

(٢) **قوله**: «**مساءلون**»: أي بعد الموت يُسأَل العبد في قبره عن ربه، ودينه، ونبيه؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ»(٢).

وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم:٢٧].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ - أَوِ المُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»(٣).

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤٠/ ٣٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٨٠).

(٢) حسن: رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

....

وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﵁، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى القَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ القَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا.

ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ ﵇، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ الله وَرِضْوَانٍ».

قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ».

قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ -يَعْنِي بِهَا- عَلَى مَلَإٍ مِنَ المَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ ﷿: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

....

قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ»، قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ».

قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي».

قَالَ: «وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ، مَعَهُمُ المُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ.

قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ

[١٩] وَبعد البِلى منشورون (١).

السَّاعَةَ»[١].

وعَنْ البَرَاءِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، قَالَ: «فِي القَبْرِ إِذَا قِيلَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَنْ نَبِيُّك»[٢].

(١) **قوله**: «**وبعد البلى منشورون**»: أي بعد أن تُبلى الأجساد يكون النشر والبعث، وهو إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم.

ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٦ ﴾ [البقرة:٥٦].

وقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ ﴾ [التغابن:٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ[٣]، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ، لَيْسَ مِنَ

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٣٠/ ٥٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤١).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣١٢٠)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٣)أبيت: أي أبيت أن أجزم بأن المراد: أربعون يوما، أو سنة، أو شهرا بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة.

[٢٠] وَيَوْم القِيَامَة إِلَى رَبهم مَحْشُورُونَ (١).

الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ(١)، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ الله، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ»(٣).

(١) **قوله**: «**ويوم القيامة إلى ربهم محشورون**»: أي للحساب، والحشر هو جمع الخلائق للحساب يوم القيامة.

ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩].

وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨)﴾ [الكهف:٤٧-٤٨].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾ [الأنبياء:١٠٣].

---

(١) عجب الذنب: أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العُصْعُص، ويقال له: عجم بالميم، وهو أول ما يخلق من الأدمي، وهو الذي يبقى منه؛ ليعاد تركيب الخلق عليه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

[٢١] ولدى العرض عَلَيْهِ محاسبون (١).

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر:٧-٨] .

وقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج:٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ»(١).

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الأَرْضِ فَيَعْرَقُ النَّاسُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ عَقِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ العَجُزَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الخَاصِرَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ عُنُقَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَأَلْجَمَهَا فَاهُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُشِيرُ هَكَذَا -، وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ»(٢).

(١) **قوله**: «**ولدى العرض عليهِ محاسبون**»: العرض هو عرض الخلائق كلهم على ربهم عز وجل، بادية له صفحاتهم لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٠٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٨/ ٦٤٧)، وابن حبان (٧٢٨٥)، وصححه الألباني فيه.

....

ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة:١٨].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٦-٨] .

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾ [المؤمنون:١٠١].

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨﴾ [طه:١٠٨]، أي سكنت، والهمس: الصوت الخفي[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۝١١١﴾ [طه:١١١] أي ذلت، وخضعت[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف:٤٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٧٤).

(٢) انظر: السابق (١٨/ ٣٧٦).

[٢٢] بِحَضْرَةِ الموازين (١)، ....

ـــ،ــــــــــــ

وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس:٦٥].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق:٨]، قَالَ: «ذَاكَ العَرْضُ يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ»[١].

(١) **قوله**: «**بحضرة الموازين**»: أي بمشهد الموازين، والموازين: جمع ميزان، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، وتوزن فيه أعمال العباد يوم القيامة.

ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي ونضع الموازين العدل ليوم القيامة؛ الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه»[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٤٥).

[٢٣] وَنشر صحف الدَّوَاوِين (١) ....

حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة:٦-١١].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»(١).

(١) **قوله**: «**وَنشر صحف الدَّوَاوِين**»: أي الصحف التي دُوِّنَت فيها الأعمال، فمن الناس من يأخذ صحيفته بيمينه، ومنهم من يأخذها بشماله.

ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (١١/ ٥٧٠)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

أَحْصَاهُ اللهُ ونسوه (١)، ....

أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾
مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ
ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ
﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [الحاقة:١٨-٣٥].

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ المِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ، أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»[١].

(١) **قوله**: «**أحصاه الله ونسوه**»: أي ضبطه الله وحفظه عليهم، وهم قد نسوا ما كانوا عليه، والله لا يغيب عنه شيء، ولا يخفى ولا ينسى شيئا[٢].

لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة:٦].

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥٥)، والترمذي (٢٢٣٥)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٤١).

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج:٤] (١).

[٢٤] لَو كَانَ غير الله ﷻ الحَاكِم بَين خلقه، لكنه الله يَلِي الحكم بَينهم بعدله(٢)

وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف:٤٩].

وقوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية:٢٩].

(١) **قوله**: «﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾»: أي مُدَّة هذا اليوم تساوي خمسين ألف سنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ، إِلَّا جُعِلَ صَفَائِحَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَتُكْوَى بِهَا جَبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ وَظَهْرُهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ ﷻ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ»(١).

(٢) **قوله**: «**لو كان غير الله ﷻ الحَاكِم بَين خلقه، لكنه الله يَلِي الحكم بينهم بعدله**»: هذا من تمام عدل الله تعالى ألا يحكم بين خلقه إلا هو ﷻ، ولو عذب الله جميع خلقه لم يكن ظالما لهم؛ لأنهم عبيده، والسيد يتصرف في ملكه كيف شاء.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١].

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٨٧).

بِمِقْدَار القائلة فِي الدُّنْيَا، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام:٦٢] (١).

[٢٥] كَمَا بدأه لَهُم من شقاوة وسعادة يَوْمئِذٍ يعودون، ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى:٧] (٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٧-٨].

(١) **قوله**: «**بمقدار القائلة في الدنيا**﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾»: أي يحكم بين العباد في وقت أقل من القائلة؛ والقائلة هي نصف النهار[1].

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة:٢٠٢].

(٢) **قوله**: «**كما بدأه لهم من شقاوة وسعادة يومئذٍ يعودون، ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾**»: أي كما خلقهم، فجعل منهم الشقي والسعيد، فكذلك في الآخرة يعودون، منهم الشقي والسعيد، فأهل الجنة هم السعداء، وأهل النار هم الأشقياء.

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف:٢٩].

---

(١) انظر: كتاب العين، مادة «قال».

[٢٦] وَأهل الجنَّة يَوْمئِذٍ فِي الجنَّة يتنعمون وبصنوف اللَّذَّات يتلذذون، وبأفضل الكرامات يحبرون (١).

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود:١٠٥-١٠٨].

(١) **قوله: «وأهل الجنة يومئذٍ في الجنة يتنعمون وبصنوف اللذات يتلذذون، وبأفضل الكرامات يحبرون»**: أي أهل الجنة يتنعمون في الجنة بأنواع اللذات وبأفضل الكرامات يفرحون ويسرون.

ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزُّخرُف:٧٠-٧٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٧].

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد:٣٥].

....

وقوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢﴾ [الإنسان: ١١-٢٢].

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»(٢).

قال النووي: «مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون يتنعمون بذلك وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعما دائما لا آخر له ولا انقطاع أبدا، وإن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٦).

[٢٧] فهم حِينَئِذٍ إِلَى رَبهم ينظرُونَ لَا يمارون فِي النّظر إِلَيْهِ وَلَا يَشكون (١)، ....

في اللذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة وإلا في أنهم لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يبصقون»[1].

(١) **قوله**: «**فهم حِينَئِذٍ إِلى ربهم ينظرُونَ لا يمارون فِي النظر إِليْهِ ولا يَشكونَ**»: أي أهل الجنة في الجنة ينظرون إلى ربهم فلا يشكون ضعف الرؤية، وإنما يرونه كرؤية القمر ليلة البدر.

ومن الأدلة على ذلك:

حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ[2] فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ»[3].

وعَنْ صُهَيْبٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]»[4].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ١٧٣).

(٢) تمارون: أي تشكون.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨١).

فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضله إِلَيْهِ ناظرة (١) فِي نعيم دَائِم مُقيم (٢)،

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ»(١).

قال ابن القيم: «اتفق عليها -أي على الرؤية- الأنبياء، والمرسلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية»(٢).

(١) **قوله**: «**فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينهم بفضله إِليْهِ ناظرة**»: لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ من النضارة، أي حسنة بَهِيَّة مشرقة مسرورة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، أي: تراه عيانا، كما في حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا»(٣).

(٢) **قوله**: «**فِي نعيم دائم مُقيم**»: أي لا يزول ولا يفنى، لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥].

وقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود:١٠٨].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

(٢) انظر: حادي الأرواح، لابن القيم، صـ(٢٨٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٤٣٥).

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ (١) وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحِجر:٤٨] (٢)،

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء:١٠٢].

(١) **قوله**: «﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾»: أي لا ينالهم في الجنة مشقة وأذى وتعب، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ»(١).

(٢) **قوله**: «﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾»: أي يخلدون في الجنة لا يخرجون منها أبدا، كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف:٤٣](٢)

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧).

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (١) ﴿تِلْكَ﴾ (٢) ....

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ»(١).

(١) **قوله**: «﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾»: أي فيها ما يؤكل فيها من المطاعم والفواكه والمشارب دائم لا انقطاع لها ولا فناء، وظلها لا يفنى ولا ينسخ(٢).

عن عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، فَصَلَّى، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ(٣)، قَالَ: «إِنِّي أُرِيتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا»(٤).

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ(٥) وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ»(٦).

(٢) **قوله**: «﴿تِلْكَ﴾»: أي الجنة.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٤٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٦٥).

(٣) تكعكعت: تأخرت إلى الوراء.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٨)، ومسلم (٩٠٧).

(٥) ولا يتفلون: بكسر الفاء وضمها أي لا يبصقون.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٥).

﴿عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ (١) ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ۝٣٥﴾ [الرعد:٣٥] (٢).

[٢٨] وَأهل الجحْد (٣) ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطفِّفين:١٥] (٤)، ....

---

(١) **قوله**: «﴿عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾»: أي هذه الجنة التي وصف جل ثناؤه، عاقبة الذين اتقوا الله، فاجتنبوا معاصيه، وأدوا فرائضه[(١)].

(٢) **قوله**: «﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾»: أي وعاقبة الكافرين بالله النار[(٢)].

(٣) **قوله**: « **وأهل الجحد**»: أي أهل الكفر والنفاق الاعتقادي.

والجحد: نقيض الإقرار كالإنكار والمعرفة[(٣)].

وقال الجوهري: «الجحود الإنكار مع العلم»[(٤)].

(٤) **قوله**: «﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾»: أي محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم[(٥)].

قال الإمام الشافعي: «لما حجب الله قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا»[(٦)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٧٢).

(٢) انظر: السابق (١٦/ ٤٧٢).

(٣) انظر: لسان العرب، مادة «جحد».

(٤) انظر: الصحاح، للجوهري، مادة «جحد».

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٥١).

(٦) انظر: مناقب الشافعي، للبيهقي (١/ ٤١٩).

وَ ﴿فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢﴾ [غافر: ٧٢] (١)، ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠] (٢)، و ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ (٣)...............

---

(١) **قوله**: «﴿فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢﴾»: أي ثم في نار جهنم يحرقون، تسجر بها جهنم: أي توقد بهم[(١)].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢﴾ [غافر: ٧٠-٧٢].

(٢) **قوله**: «﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾»: يعني يوم القيامة[(٢)].

(٣) **قوله**: «﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَا﴾»: أي والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم مخلدين فيها لا حظ لهم في الجنة ولا نعيمها، ولا يقضى عليهم بالموت فيموتوا؛ لأنهم لو ماتوا لاستراحوا، ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم، فيخفف ذلك عنهم[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤١٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٦٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٦).

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦﴾ [فاطر:٣٦] (١)، خلا من شَاءَ الله من المُوَحِّدين إخراجهم مِنْهَا (٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ [الزُّخرُف:٧٤-٧٧].

(١) **قوله**: «﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦﴾»: أي: هذا جزاء كل من كفر بربه، وكذب بالحق[(١)].

(٢) **قوله**: «**خلا من شاءَ الله من الموَحّدين إخراجهم مِنْهَا**»: أي لا يخلد في النار جماعة من الموحدين استثناهم الله ﷻ؛ وهذا فيه رد على الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة خالد مخلد في النار.

ومن الأدلة على أن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار:

حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ»[(٢)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدْ امْتَحَشُوا[(٣)]،

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٥٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٥٦٦).

(٣) امتحشوا: أي احترقوا.

فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، أَوِ الحَيَا[١]، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟[٢]»[٣].

❑ ❑ ❑

(١) الحيا: الحيا هو المطر سمي حيا؛ لأنه تحيا به الأرض، وكذلك هذا الماء يحيا به هؤلاء المحترقون، وتحدث فيهم النضارة كما يحدث ذلك في الأرض.

(٢) ملتوية: أي ملفوفة مجتمعة، وقيل: منحنية.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٤).

[الواجب علينا نحو ولاة الأمور]

[٢٩] وَالطَّاعَة لأولي الأَمر فِيمَا كَانَ عِنْد الله ﷻ مرضيا، وَاجْتنَاب مَا كَانَ عِنْد الله مسخِطا (١).

---

(١) **قوله:** « **والطاعة لأولي الأمر فِيما كَانَ عِنْد الله ﷻ مرضيا، واجْتناب ما كَانَ عِنْد الله مسخِطا**»: هذا أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وهو وجوب طاعة ولي الأمر إذا أمر بطاعة الله، أو نهى عن معصية الله تعالى، وفي هذا رد على الخوارج والمعتزلة الذين يرون الخروج عليهم.

ومن الأدلة على وجوب طاعة ولاة الأمور:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ، فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ»[(١)].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٢٦)، وابن حبان في صحيحه (١٠/٤٢٦)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

[٣٠] وَترك الخُرُوج عِنْد تعديهم وجورهم (١)، ....

وعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ الله، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ الله، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»(١).

فائدة: طاعة ولاة الأمور قسمان:

الأول: تجب طاعتهم إن أمروا بطاعة الله أو رسوله ﷺ، أو بشيء محل اجتهاد، أو أمروا بشيء فيه مصلحة للمسلمين.

الثاني: تحرم طاعتهم إن أمروا بمعصية الله سبحانه وتعالى.

(١) **قوله:** «**وَترك الخُرُوج عِنْد تعديهم وجورهم**»: من أصول أهل السنة والجماعة عدم الخروج على ولاة الأمور وإن تعدُّوا، وظلموا؛ لحديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اسْمَعْ وَأَطِعْ، فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ»(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٥٥).

(٢) صحيح: رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٢٦)، وابن حبان في صحيحه (١٠/٤٢٦)، وصححه الألباني.

[٣١] وَالتَّوْبَة إِلَى الله ﷻ كَيْمَا يعْطف بهم على رعيتهم (١).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ، قَالَ: دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»[(١)].

ولأنه يترتب على الخروج على ولاة الأمور فساد عظيم وشر كثير إلا إذا رأى المسلمون كفرا بواحا عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يجوز، أو كان الخروج يسبب شرًا أكثر فليس لهم الخروج رعاية للمصالح العامة.

(١) **قوله**: «**والتوبة إلى الله ﷻ كيما يعطف بهم على رعيتهم**»:

أي على الرعية أن يتوبوا إلى الله تعالى ويستغفروه حتى يصلح الله لهم ولي أمرهم.

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

❑ ❑ ❑

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

[الإِمْسَاك عَن تَكْفِير أهل القبْلَة]

[٣٢] والإمساك عَن تَكْفِير أهل القبْلَة (١).

[٣٣] والبراءة مِنْهُم فِيمَا أَحْدَثُوا مَا لم يبتدعوا ضلالا (٢).

[٣٤] فَمن ابتدع مِنْهُم ضلالا، كَانَ على أهل القبْلَة خَارِجا وَمن الدّين مارقا، ويُتقرب إِلَى الله ﷻ بِالبَرَاءَةِ مِنْهُ، ويهجر ويحتقر (٣)، ....

---

(١) **قوله**: «**والإمساك عَن تكفِير أهل القبلة**»: من أصول أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون مسلما بذنب ما لم يستحله، خلافا للخوارج والمعتزلة، وقد تقدم ذكر هذه المسألة.

(٢) **قوله**: «**والبراءة مِنهم فِيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالا**»: أي كفرا، فمن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتبرؤون من أهل البدع فيما أحدثوه ما لم تكن البدعة مكفرة، كبدع الجهمية، والروافض.

(٣) **قوله**: «**فمن ابتدع مِنهم ضلالا، كَانَ على أهل القبلة خارِجا ومن الدّين مارقا، ويُتقرب إلى الله ﷻ بالبَراءَةِ مِنهُ، ويهجر ويحتقر**»: أي من ابتدع بدعة مكفرة خرج من مذهب أهل السنة والجماعة، ووجب التقرب إلى الله بالبراءة منهم، ووجب هجرانه واحتقاره.

والبدعة هي شرع ما لم يأذن الله به ولم يكن عليه أمر النبي ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم، ولهذا فسر النبي ﷺ البدعة بقوله: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»[1].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

وتجتنب غُدَّته فَهِيَ أعدى من غُدَّة الجرَب (١).

وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[(١)].

قال النووي: «قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات.

وفي الرواية الثانية زيادة، وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها، فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول: أنا ما أحدثت شيئا، فيُحْتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل، أو سبق بإحداثها»[(٢)].

(١) **قوله**: «**وتجتنب غدَّته فهِيَ أعدى من غدَّة الجرَب**»: أي وجب تجنب بدعته؛ لئلا تعديه، وشبه البدعة بالطاعون؛ لسرعة انتشارها إذا ظهرت في المجتمع كالطاعون تماما.

والغُدَّة: طاعون الإبل، وقلما تسلم منه[(٣)].

فائدة: البدعة قسمان[(٤)]:

الأول: مفسِّقة: هي التي لا تكون بتكذيب شيء من الكتاب والسنة، كتأخير الصلاة إلى آخر وقتها، وتقديم الخطبة قبل صلاة العيد.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧١٨).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٢/ ١٦).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٤٣).

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٤٠-٤٢).

....

الثاني: مكفرة: هي التي تكون بإنكار أمر مجمع عليه متواتر من الشرع، أو جحود فرض، أو إحلال محرم، أو تحريم حلال، أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله وكتابه عنه من نفي أو إثبات؛ لأن ذلك تكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله ﷺ كبدعة الجهمية في إنكار صفات الله ﷻ، والقول بخلق القرآن.

❑ ❑ ❑

[الاعتقاد في الصَّحابَة ﷺ]

[٣٥] وَيُقَال بِفضل خَليفَة رَسُول الله ﷺ أبي بكر الصّديق ﷺ (١)، ....

---

(١) **قوله**: «**ويقال بفضل خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصّديق ﷺ**»: شرع المصنف رحمه الله في بيان معتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة ﷺ، فبدأ بأفضلهم، وهو أبو بكر ﷺ خليفة رسول الله ﷺ، **ومن الأدلة على أحقيته بالخلافة ﷺ بعد النبي ﷺ**:

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ الله ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَأُذِّنَ فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَأَعَادَ فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»[(١)].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ فِي مَرَضِهِ: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»[(٢)].

وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ، قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: الْمَوْتَ، قَالَ ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي، فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٨٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (١٨٥٧).

فَهُوَ أفضل الخلق وأخيرهم بعد النَّبِي ﷺ (١)، ....

قال ابن قدامة: «هو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته، وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة ﷺ، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة»[١].

(١) **قوله**: «**فهوَ أفضل الخلق وأخيرهم بعد النبي** ﷺ»: هذا بالإجماع.

قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى (١٧) ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٠) وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ (٢١)﴾ [الليل:١٧-٢١]، نزلت في أبي بكر رضي الله عنه[٢].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»[٣].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»[٤].

وعن عَمْرو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ:

---

(١) انظر: لمعة الاعتقاد، للإمام بن قدامة، صـ (٣٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٤٧٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٦٩٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٧)، ومسلم (٥٣٢).

ونثني بعده بالفاروق، وَهُوَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١)، ....

«أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ»(١).

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»(٢).

وعَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»(٣).

(١) **قوله**: «**ونثني بعده بالفاروق، وَهُوَ عمر بن الخطاب** رضي الله عنه»: أهل السنة مجمعون على أن أفضل الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنه هو عمر رضي الله عنه، **ومن الأدلة على ذلك**:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْتَرُّهُ» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ»(٤).

وعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ

---

(١) متفق: رواه البخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٦٧٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٠٩)، ومسلم (٢٣٩٠).

فهما وزيرا رَسُول الله ﷺ (١)، ....

مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَرَسُولُ الله ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ الله ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»[١].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ»، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟»[٢].

(١) **قوله**: «**فهما وزيرا رسول الله** ﷺ»: أي كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وزيرا رسول الله ﷺ في تبليغ دعوته؛ والوزير هو المساعد، والمعاون[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١﴾ [طه:٢٩-٣١].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٤).

(٣) انظر: المفردات، للأصفهاني، صـ (٨٦٨).

وضجيعاه (١) فِي قَبره (٢)، ونثلِّث بِذِي النورين عُثْمان بن عَفَّان ﷺ (٣)،.......

(١) **قوله**: «**وضجيعاه**»: أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

والضجيع هو المضاجع، ولو قال: وجاراه في قبره لكان أولى؛ لأن المضاجع معناه النائم مع غيره في ثوب واحد[1].

(٢) **قوله**: «**فِي قبره**»: أي قبر النبي ﷺ.

(٣) **قوله**: «**ونثلث بذِي النورين عثمان بن عفان** ﷺ»: أي أفضل الأمة بعد أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما عثمان ﷺ، وسمي بذي النورين؛ لأنه تزوج ابنتي رسول الله ﷺ، ولم يتفق ذلك لغيره ﷺ، ومن الأدلة على فضله ﷺ:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ، قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِألفِ دِينَارٍ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ وَيَقُولُ: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ»[2].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ:

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «ضجع».

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٧٠١)، وحسنه الألباني.

ثمَّ بِذِي الفضل والتقى عَليّ بن أبي طَالب (١) ....

«أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ»[١].

(١) **قوله**: «**ثمَّ بذِي الفضل والتقى علَيّ بن أبي طالب**»: اتفق أهل السنة في ترتيب الأربعة على الأحق بالخلافة[٢]، واختلفوا في ترتيبهم على الأفضلية، والأكثر على تقديم عثمان رضي الله عنه على علي رضي الله عنه[٣].

ومن الأدلة على فضل علي رضي الله عنه:

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»[٤].

وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ رضي الله عنه تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا فِي صَبَاحِهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ - أَوْ قَالَ: لَيَأْخُذَنَّ - غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ»، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ الله ﷺ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ[٥].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠١).

(٢) انظر: لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، صـ(٣٦).

(٣) انظر: مقدمة ابن الصلاح، صـ(٢٩٨-٢٩٩).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٠٢)، ومسلم (٢٤٠٤).

رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ (١).

[٣٦] ثمَّ البَاقِينَ من العشْرَة الَّذين أوجب لُهم رَسُول الله ﷺ الجنَّة (٢)، ....

---

(١) **قوله**: «**رَضِي الله عنهُم أجمَعِين**»: هذه الجملة تحتمل الإخبار بأن الله رضي عنهم، وتحتمل الدعاء أي اللهم ارض عنهم.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

(٢) **قوله**: «**ثمَّ الباقِينَ من العشرَة الذين أوجب لهم رسُول الله ﷺ الجنَّة**»: أي يأتي في الفضل بعد هؤلاء الأربعة باقي العشرة المبشرين بالجنة المذكورين في حديث سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «عَشْرَةٌ فِي الجَنَّةِ النَّبِيُّ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ العَاشِرَ»، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ «سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ»[(١)].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وصححه، وابن ماجه (١٣٣)، النسائي في الكبرى (٨١٣٧)، وصححه الألباني.

ونُخْلص لكل رجل مِنْهُم من المحبَّة بِقدر الَّذِي أوجب لَهُم رَسُول الله ﷺ من التَّفْضِيل، ثمَّ لسَائِر أَصْحَابه من بعدهمْ رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ (١).

[٣٧] وَيُقَال بفضلهم، ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عَن الخَوْض فِيمَا شجر بَينهم (٢)، ....

قال أبو منصور البغدادي التميمي: «أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية»[١].

(١) **قوله: «ونخلص لكل رجل مِنهُم من المحبَّة بقدر الذي أوجب لهُم رَسُول الله ﷺ من التفْضِيل ثمَّ لسَائِر أصحَابه من بعدهمْ رَضِي الله عَنهُم أجمَعِينَ»**: أي نحب كل رجل من الصحابة المتقدم ذكرهم على قدر فضله، ثم يليهم في المنزلة سائر الصحابة ﷺ.

(٢) **قوله: «ويُقال بفضلهم، ويذكرون بمحاسن أفعالهم، ونمسك عَن الخَوْض فِيمَا شجر بينهم»**: هذا فيه جملة من حقوق الصحابة ﷺ علينا:

الأول: اعتقاد عدالتهم وفضلهم على سائر الناس.

لحديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[٢].

الثاني: ذكر محاسن أفعالهم، وجميل صنيعهم.

---

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح (١/ ٢٩٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

الثالث: الكف عما شجر بينهم.

لحديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»(١).

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة ﷺ بعد قتل عثمان ﷺ، عملا بقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، واعتقاد أن الكل منهم مجتهد إن أصاب فله أجران: أجر على اجتهاده وأجر على إصابته، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد والخطأ مغفور، ولا نقول: إنهم معصومون بل مجتهدون إما مصيبون، وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك.

فعَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

فهم خِيَار أهل الأَرْض بعد نَبِيِّهم (١)، ....

قَالَ العَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ: «أَدْرَكْتُ صَدْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَقُولُونَ: اذْكُرُوا مَحَاسِنَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى تَأْلَّفَ عَلَيْهِمُ القُلُوبُ، وَلَا تَذْكُرُوا مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَتُجَسِّرُوا[١] النَّاسَ عَلَيْهِمْ»[٢].

وقال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة عليهم السلام إلا بخير ما يذكرون به، وعلى أنهم أحق أن ينشر محاسنهم، ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج، وأن نظن بهم أحسن الظن، وأحسن المذاهب»[٣].

(١) **قوله**: «**فهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم**»: لحديث عَبْدِ الله بن مسعود ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»[٥].

---

(١) تُجَسِّرُوا: أي تشجعوا.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي (١٨/ ٣٣).

(٣) انظر: رسالة إلى أهل الثغر، صـ(١٧٢).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

ارتضاهم الله ﷻ لنبيه وجعلهم أنصارا لدينِهِ؛ فَهم أَئِمَّة الدّين وأعلام المُسلمين؛ رَضِي الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ (١).

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ العِشَاءَ، قَالَ: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله صَلَّيْنَا مَعَكَ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ العِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ»، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ(١)، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي(٢)، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ(٣)، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»(٤).

(١) **قوله**: «**ارتضاهم الله ﷻ لنبيه وجعلهم أنصارا لدينه؛ فهم أئمة الدّين وأعلام المسلمين؛ رَضِي الله عَنهُم أجمَعين**»: أي هؤلاء الصحب الكرام رضيهم الله لنبيه أصحابا، وجعلهم أنصارا لدينه، فهم بذلك أئمة وأعلام

(١) أمنة للسماء: الأمنة والأمن والأمان بمعنى، ومعنى الحديث: أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء، فانفطرت، وانشقت، وذهبت.

(٢) وأنا أمنة لأصحابي: أي من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحا، وقد وقع كل ذلك.

(٣) فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون: أي من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة، ومكة، وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٣١).

المسلمين؛ كما قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر:٨-٩].

❑ ❑ ❑

[الصَّلَاة وَرَاء الأئِمَّة وَالجهَاد مَعَهم وَالحج]

[٣٨] وَلَا نتْرك حُضُور الْجُمُعَة، وصلاتها مَعَ بر هَذِه الأمة وفاجرها لَازم (١)، مَا كَانَ من البِدْعَة بريئا، فَإِن ابتدع ضلالا فَلَا صَلَاة خَلفه (٢).

---

(١) **قوله**: «**ولا نترك حضور الجمعة، وصلاتها مع بر هذه الأمة وفاجرها لازم**»: أي من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يرون وجوب صلاة الجمعة مع ولاة الأمور، وإن كانوا فجّار امتثالا لأمر النبي ﷺ؛ لأنه أمرنا بطاعتهم، ونهانا عن مخالفتهم، وهذا فيه رد على الخوارج والمعتزلة.

(٢) **قوله**: «**ما كانَ من البدعة بريئا، فإن ابتدع ضلالا فلا صلاة خلفه**»: أي إن ابتدع الإمام بدعة مكفرة فلا صلاة خلفة إن أمكن أن يصليها مع إمام آخر.

قال شيخ الإسلام: «من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع، والأعياد، والجماعات لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة، وغيرهم.

فإن كان الإمام مستورا لم يظهر منه بدعة، ولا فجور صلى خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة، وغيرهم من أئمة المسلمين، ولم يقل أحد من الأئمة: إنه لا تجوز الصلاة إلا خلف من علم باطن أمره بل ما زال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور.

ولكن إذا ظهر من المصلي بدعة أو فجور، وأمكن الصلاة خلف من يعلم أنه مبتدع، أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره، فأكثر أهل العلم يصححون صلاة

[٣٩] وَالجهَاد مَعَ كل إِمَام عدل أَو جَائِر وَالحج (١).

المأموم .... وأما إذا لم يمكن الصلاة إلا خلف المبتدع، أو الفاجر كالجمعة التي إمامها مبتدع أو فاجر وليس هناك جمعة أخرى، فهذه تصلى خلف المبتدع، والفاجر عند عامة أهل السنة والجماعة، وهذا مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة أهل السنة بلا خلاف عندهم... فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين، ومن قال: إن الصلاة محرمة، أو باطلة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلى عبد الله بن مسعود، وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان قد يشرب الخمر.

وصلى مرة الصبح أربعا، وجلده عثمان بن عفان على ذلك، وكان عبد الله بن عمر، وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف.و

كان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد، وكان متهما بالإلحاد، وداعيا إلى الضلال»[(١)].

(١) **قوله**: «**والجهَاد مَع كل إِمَام عدل أو جائِر والحج**»: أي من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يرون الحج والجهاد مع الإمام أو نائبه سواء كان برا أو فاجرا، لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٠-٢٨١).

....

فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر.

يشير المصنف رحمه الله هنا إلى الرد على الرافضة، حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد، وينادي مناد من السماء: اتبعوه! [1].

فائدة: الجهاد قسمان[2]:

الأول: جهاد دفع، إذا داهم العدو بلادهم وجب عليهم قتالهم، فيجب على جميع من يحمل السلاح قتالهم؛ من أجل دفع العدو عن أرضهم.

الثاني: جهاد طلب، إذا كانت بالمسلمين قوة، فإنهم يغزون العدو في بلادهم، ويدعونهم إلى الله، فإن أجابوا وإلا قاتلوهم من أجل إعلاء كلمة الله ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٣٩﴾ [الأنفال:٣٩].

❑ ❑ ❑

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٢٥٥-٢٥٧).

(٢) انظر: الفروسية، لابن القيم، صـ (١٨٧-١٨٩).

[حكم قصر الصلاة والفطر في السفر]

[٤٠] وقصر الصَّلَاة فِي الأَسْفَار (١)، ....

(١) **قوله**: «**وقصر الصلَاة فِي الأسفَار**»: أي من السنة قصر الصلاة في السفر.

وقد اختلف العلماء في حكم قصر الصلاة في السفر على قولين(١):

القول الأول: إن شاء صلى ركعتين، وإن شاء أتم، والقصر أفضل.

القائلون به: عثمان، وسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وابن عمر، وعائشة ﷺ، والأوزاعي، والشافعي وأصحابه، وهو المشهور عن مالك، والمشهور عن أحمد.

القول الثاني: يجب القصر.

القائلون به: حماد بن أبي سليمان، وعمر بن عبد العزيز، والثوري، وأبو حنيفة.

الراجح القول الأول القاضي بأن المسافر إن شاء صلى ركعتين، وإن شاء أتم.

الأدلة:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء:١٠١]، وهذا يدل على أن القصر رخصة مخير بين فعله وتركه، كسائر الرخص.

---

(١) انظر: المجموع، للنووي (٤/ ١٥٥-١٥٦)، والمغني، لابن قدامة (٣/ ١٢٢-١٢٣).

....

٢-عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ، فَقَالَ: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتُ مِنْهُ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ «صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ»(١)، وهذا يدل على أنه رخصة، وليس بعزيمة، وأنها مقصورة.

قال ابن عبد البر: في إجماع الجمهور من الفقهاء على أن المسافر إذا دخل في صلاة المقيمين، فأدرك منها ركعة أن يلزمه أربع، دليل واضح على أن القصر رخصة، إذ لو كان فرضه ركعتين لم يلزمه أربع بحال(٢).

والأفضل القصر؛ لأن النبي ﷺ كان يداوم عليه، وكذا الصحابة رضي الله عنهم.

فعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «إِنِّي صَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ، وَصَحِبْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ، وَصَحِبْتُ عُمَرَ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ، ثُمَّ صَحِبْتُ عُثْمَانَ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ»، وَقَدْ قَالَ اللهُ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١](٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٨٦).

(٢) انظر: التمهيد، لابن عبد البر (١٦/ ٣١١-٣١٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٨٦).

[٤١] وَالتخيير فِيهِ بَيْن الصّيام والإفطار فِي الأَسْفَار إِن شَاءَ صَامَ وَإِن شَاءَ أفطر(١).

(١) **قوله:** «**وَالتخيير فِيهِ بَين الصّيام والإفطار فِي الأسفَار إِن شاءَ صامَ وَإِن شاءَ أفطر**»: أي المسافر مخير بين الفطر والصيام إن شاء صام وإن شاء أفطر.

وقد اختلف العلماء في حكم الفطر في السفر على قولين[(١)]:

القول الأول: المسافر يباح له الفطر، فإن صام كره له ذلك، وأجزأه.

القائلون به: أكثر العلماء.

القول الثاني: لا يصح صوم المسافر.

القائلون به: عمر، وأبو هريرة رضي الله عنهما، والظاهرية.

الأدلة:

١-عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: «لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»[(٢)].

٢-عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَامَ الفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ فَرَفَعَهُ، حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ

(١) انظر: المغني، لابن قدامة (٤/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥).

....

صَامَ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ العُصَاةُ، أُولَئِكَ العُصَاةُ»(١).

وأجيب على هذين الدليلين بأنها محمولة على تفضيل الفطر على الصيام.

الراجح القول الأول القاضي بأن المسافر يباح له الفطر، فإن صام كُرِه له ذلك، وأجزأه.

الأدلة:

١-عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَمْرٍو الأَسْلَمِيَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَأَصُومُ فِي السَّفَرِ؟ - وَكَانَ كَثِيرَ الصِّيَامِ -، فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ»(٢).

٢-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: «كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَعِبِ الصَّائِمُ عَلَى المُفْطِرِ، وَلَا المُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ»(٣).

والأفضل على حسب حال المسافر، إن كان سيترتب على صومه مشقة فالأفضل الفطر، وإن لم توجد مشقة فالأفضل الصوم.

❑ ❑ ❑

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١١٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١١٢١)، ومسلم (١٩٤٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٤٧)، ومسلم (١١١٨).

[اجْتِمَاع السلف على هذه الرسالة]

[٤٢] هَذِه مقالات وأفعال اجْتمع عَلَيْهَا الماضون الأَولونَ من أَئِمَّة الهدى (١)، وبتوفيق الله اعْتصمَ بهَا التابعون قدوة ورضا (٢)، وجانبوا التَّكَلُّف فِيمَا كُفُوا فسددوا بعون الله ووفِّقوا (٣)، لم يَرْغَبُوا عَن الِاتِّبَاع فيقصِّروا (٤)، وَلم يُجَاوِزُوهُ تزيُّدا فيعتدوا (٥)؛ فَنحْن بِاللهَّ واثقون، وَعَلِيهِ متوكلون، وَإِلَيْهِ فِي اتِّبَاع آثَارهم راغبون (٦).

---

(١) **قوله**: «**هَذِه مقالات وأفعال اجْتمع عليها الماضون الأولونَ من أئِمَّة الهدى**»: أي هذه العقيدة اجتمع عليها الصحابة ﭫ، والتابعون.

(٢) **قوله**: «**وبتوفيق الله اعتصمَ بها التابعون قدوة ورضا**»: أي وفق الله التابعين، فاعتصموا بالكتاب والسنة على ما فهمه الصحابة ﭫ اقتداء بهم ورضا بما عليه.

(٣) **قوله**: «**وجانبوا التَّكلُّف فِيمَا كُفُوا فسددوا بعون الله ووفقوا**»: أي لم يتكلفوا فيما كفاهم السابقون فوفقهم الله وسددهم.

(٤) **قوله**: «**لم يرْغَبُوا عَن الِاتِّبَاع فيقصِّروا**»: أي لم يتركوا اتباع هؤلاء الصحابة ﭫ؛ لأن من رغب عن نهجهم لم يقبل عمله.

(٥) **قوله**: «**وَلم يُجَاوِزُوه تزيُّدا فيعتدوا**»: أي لم يجاوزوا نهج الصحابة ﭫ رغبة في التَّزَيُّد؛ لأن من جاوزهم فقد اعتدى.

(٦) **قوله**: «**فنحن بالله واثقون، وَعليهِ متوكلون، وَإِليهِ فِي اتِّبَاع آثارهم راغبون**»: لأن الله تعالى ارتضى هؤلاء الصحابة لنبيه ﷺ، ونحن كذلك

....

نرتضي طريقتهم ونهجهم.

❑ ❑ ❑

[المُحَافظَة على الفَرَائِض وَاجْتنَاب المُحارم]

[٤٣] فهَذَا «شرح السّنة»، تحريت كشفها وأوضحتها (١)؛ فَمن وَفقه الله للْقِيَام بِمَا أبنته مَعَ معونته لَهُ بِالقيامِ على أَدَاء فَرَائِضه (٢) بِالِاحْتِيَاطِ فِي النَّجَاسَات(٣)،....

(١) **قوله: «فهذا «شرح السنة» تحريت كشفها وأوضحتها»**: أي بينتها، والتحري: توخي الصواب[1].

(٢) **قوله: «فمن وفقه الله للقيام بما أبنته مع معونته له بالقيام على أداء فرائضه»**: أي من سدده الله وأعانه على القيام بما وضحته في هذه الرسالة مع المحافظة على الفرائض، واجتناب النواهي فإنه على دين الهدى.

وفرائض جمع فريضة، وهي التي أوجبها الله علينا[2].

(٣) **قوله: «بالِاحتياطِ في النجاسات»**: أي الأخذ بالأحوط في النجاسات.

والنجاسات: جمع نجاسة، والنجاسة: هي كل عين يحرم تناولها مع إمكانه لا لحرمتها، ولا لاستقذارها، ولا لضرر ببدن، أو عقل؛ مثل البول والغائط والدم ونحوه.

فقولنا: «يحرم تناولها»: خرج به ما يباح تناوله؛ لأنه طاهر.

وقولنا: «لا لحرمتها»: خرج به الصيد حال الإحرام، وداخل الحرم.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، مادة «حرى».

(٢) انظر: تهذيب اللغة، مادة «فرض».

وإسباغ الطَّهَارَة على الطَّاعَات (١)، ....

وقولنا: «ولا لاستقذارها»: خرج به البُزاق والمخاط، وشِبْهُه، فليس بنجس، وهو محرم لاستقذاره.

وقولنا: «ولا لضرر ببدن»: خرج به السُّم، وشِبْهه، فليس بنجس، وهو محرم لضرره.

وقولنا: «أو عقل»: خرج به البَنْج، وشِبْهه، فليس بنجس[1].

(١) **قوله**: «**وإسباغ الطهارة على الطاعات**»: أي الصلوات، وما تشترط له الطهارة، كالطواف، ومس المصحف، ونحوه.

لحديث نُعَيْم بْنِ عَبْدِ الله الْمُجْمِرِ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ اليُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي العَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ اليُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي العَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ اليُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ اليُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ»، ثُمَّ قَالَ: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَتَوَضَّأُ، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنْتُمُ الغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ إِسْبَاغِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ»[2].

---

(١) انظر: المطلع، للبعلي، صـ(٧)، والإقناع، للحجاوي (١/ ٨٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦).

وَأَدَاء الصَّلَوَات على الاستطاعات (١)، ....

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[(١)].

وإسباغ الطهارة: أي المبالغة فيها، وإتمامها[(٢)].

والطهارة لغة: النزاهة والنظافة عن الأقذار، يقال: طهرت المرأة من الحيض، والرجل من الذنوب، بفتح الهاء وضمها وكسرها[(٣)].

وشرعا: هي ارتفاع الحدث، وما في معناه، وزوال النَّجَس[(٤)].

والحدث لغة: الصغير السن، والأمر الحادث: المنكر غير المعتاد[(٥)].

واصطلاحا هو: الوصف القائم بالبدن المانع من الصلاة، ونحوها[(٦)].

(١) **قوله**: «**وأداء الصلوات على الاستطاعات**»: أي على قدر الاستطاعة، فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ، قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[(٧)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥١).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة «سبغ».

(٣) انظر: لسان العرب، مادة «طهر».

(٤) انظر: المطلع صـ(٥)، وكشاف القناع (١/ ٣٢).

(٥) انظر: المعجم الوسيط مادة «حدث».

(٦) انظر: المطلع صـ(٥)، وكشاف القناع (١/ ٣٢).

(٧) صحيح: رواه البخاري (١١١٧).

وإيتاء الزَّكَاة على أهل الجِدَات (١)، ....

وعن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله ﷺ، يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَصِيَامُ رَمَضَانَ»، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»، قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَالله لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»(١).

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»(٢).

(١) **قوله**: «**وإيتاء الزكاة على أهل الجِدات**»: أي على أهل الغنى، لحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ الله، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

وَالحج على أهل الجَدَة والاستطاعات (١)، وَصِيَام الشَّهْر لأهل الصحَّات (٢)،....

أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[(١)].

(١) **قوله**: «**وَالحج على أهل الجَدَة والاستطاعات**»: أي الحج واجب علي المستطيع استطاعة بدنية، ومالية؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧].

وعن عُمَرَ ﷺ أَنَّ جبْرِيْلَ ﷺ قَالَ للنبيِّ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»[(٢)].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[(٣)].

(٢) **قوله**: «**وَصِيَام الشَّهْر لأهل الصحَّات**»: أي يجب الصوم على القادرين عليه؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

وَخمْس صلوَات سنّهَا رَسُول الله ﷺ (١): صَلَاة الوتر فِي كل لَيْلَة (٢)، وركعتا الفجْر (٣)، ....

هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٥].

(١) **قوله**: «**وخمس صلوات سنها رسول الله** ﷺ»: السنة هنا بمعنى النافلة.

(٢) **قوله**: «**صلاة الوتر في كل ليلة**»: لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لَا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: «صَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ»[(١)].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَأَنَا رَاقِدَةٌ مُعْتَرِضَةً عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُوتِرَ أَيْقَظَنِي، فَأَوْتَرْتُ»[(٢)].

(٣) **قوله**: «**وركعتا الفجر**»: أي من السنن المؤكدة سنة الفجر القبلية، لحديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٢)، ومسلم (٧٤٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٢٥).

وَصَلَاة الفطر والنحر (١)، ....

(١) **قوله**: «**وصلاة الفطر والنحر**»: أي من السنن صلاة عيد الفطر والأضحى.

وقد اختلف العلماء في حكم صلاة العيد على ثلاثة أقوال[(١)]:

القول الأول: فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقطت عن الباقين، وإن اتفق أهل بلد على تركها قاتلهم الإمام.

القائلون به: بعض أصحاب الشافعي، وظاهر مذهب أحمد، وبعض أصحاب أبي حنيفة.

الأدلة:

١. لأنها لا يشرع لها الأذان، فلم تجب على الأعيان، كصلاة الجنازة.

٢. لو وجبت على الأعيان لوجبت خطبتها، ووجب استماعها كالجمعة.

ومن أدلة وجوبها في الجملة، أمر الله تعالى بها، بقوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر:٢]، والأمر يقتضي الوجوب، ومداومة النبي ﷺ على فعلها، وهذا دليل الوجوب.

ولأنها من أعلام الدين الظاهرة، فكانت واجبة كالجمعة.

ولأنها لو لم تجب لم يجب قتال تاركيها، كسائر السنن، يحققه أن القتال عقوبة لا تتوجه إلى تارك مندوب كالقتل والضرب.

القول الثاني: فرض عين.

---

(١) انظر: المجموع (٥/ ٥-٦)، والمغني (٣/ ٢٥٣-٢٥٤).

....

القائلون به: أبو حنيفة.

التعليل:

لأنها صلاة شُرِعت لها الخطبة، فكانت واجبة على الأعيان، وليست فرضا كالجمعة.

القول الثالث: سنة مؤكدة غير واجبة.

القائلون به: مالك، وأبو حنيفة، وأكثر أصحاب الشافعي، ورواية عن أحمد، وداود، وجماهير العلماء.

الأدلة:

١-عن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ الله ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»[(١)].

أجيب عليه بأنه لا حجة فيه؛ لأن الأعراب لا تلزمهم الجمعة، لعدم الاستيطان، فالعيد أولى.

٢-عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْهُنَّ شَيْئًا، اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَهْدًا أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ قَدِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

....

انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا، اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»[1].

أجيب عليه بأنه مخصوص بأنه إنها صرح بوجوب الخمس، وخصها بالذكر، لتأكيدها ووجوبها على الأعيان، ووجوبها على الدوام، وتكررها في كل يوم وليلة، وغيرها يجب نادرا ولعارض، كصلاة الجنازة والمنذورة والصلاة المختلف فيها، فلم يذكرها.

٣-لأنها صلاة ذات ركوع وسجود لم يشرع لها أذان، فلم تجب ابتداء بالشرع، كصلاة الاستسقاء والكسوف.

أجيب عليه بأنه قياس لا يصح؛ لأن كونها ذات ركوع وسجود لا أثر له، بدليل أن النوافل كلها فيها ركوع وسجود، وهي غير واجبة، فيجب حذف هذا الوصف، لعدم أثره، ثم ينقض قياسهم بصلاة الجنازة، وينتقض على كل حال بالمنذورة.

والراجح القول الثاني القاضي بأنها فرض عين، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية[2].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٢٥)، وابن ماجه (١٤٠١)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: الاختيارات الفقهية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، صـ (٩٧).

وصلاة كسوف الشمس والقمر إذا نزل (١)، ....

لحديث أُمِّ عَطِيَّةَ: «أُمِرْنَا أَنْ نَخْرُجَ فَنُخْرِجَ الحُيَّضَ، وَالعَوَاتِقَ، وَذَوَاتِ الخُدُورِ، فَأَمَّا الحُيَّضُ: فَيَشْهَدْنَ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ، وَدَعْوَتَهُمْ وَيَعْتَزِلْنَ مُصَلَّاهُمْ»(١).

(١) **قوله**: «**وصلاة كسوف الشمس والقمر إذا نزل**»: أي إذا حدث الكسوف للشمس أو للقمر؛ لحديث أَبِي بَكْرَةَ ﷺ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ(٢)، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى دَخَلَ المَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا، فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ حَتَّى انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَصَلُّوا، وَادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ»(٣).

قال ابن قدامة: «لا نعلم بين أهل العلم في مشروعيتها لكسوف الشمس خلافا»(٤).

واختلف العلماء في مشروعيتها لخسوف القمر على ثلاثة أقوال(٥):

القول الأول: جائزة.

القائلون به: أكثر أهل العلم، ومنهم: عطاء، والحسن، والنَّخَعي، والشافعي، وإسحاق.

الأدلة:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٩٨١).

(٢) فانكسفت الشمس: أي تغير ضوؤها ونقص.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٤٠)، ومسلم (٩٠١).

(٤) انظر: المغني (٣/ ٣٢١).

(٥) انظر: المجموع (٥/ ٣٧-٣٨)، والمغني (٣/ ٣٢١-٣٢٢).

وَصَلَاةُ الاسْتِسْقَاءِ مَتَى وَجب (١).

١. لأن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَصَلُّوا، وَادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ»[1]؛ فأمر بالصلاة لهما أمرا واحدا.

٢. لأنه أحد الكسوفين، فأشبه كسوف الشمس.

القول الثاني: ليس لكسوف القمر سنة.

القائلون به: مالك.

القول الثالث: يصلي الناس لخسوف القمر وحدانا ركعتين ركعتين، ولا يصلون جماعة.

القائلون به: أبو حنيفة، ومالك.

التعليل:

لأن في خروجهم إليها مشقة.

والراجح القول الأول القاضي بمشروعية صلاة الخسوف للقمر؛ وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية[2].

(١) **قوله**: «**وصلاة الاستسقاء متى وجب**»: الاستسقاء هو طلب السقيا[3].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٤٠)، ومسلم (٩٠١).

(٢) انظر: الاختيارات الفقهية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، صـ (٩٩).

(٣) انظر: المجموع (٥/ ٥٠).

[٤٤] وَاجْتِنَابَ المَحَارِمِ (١)، ....

فإذا انقطع نزول المطر، وقل الماء سُنَّ للمسلمين أن يستسقوا، كما كان النبي ﷺ يفعل(١).

قال الشافعي وأصحابه: «إنما يُشرع الاستسقاء إذا أجدبت الأرض وانقطع الغيث أو النهر أو العيون المحتاج إليها، وقد ثبتت الأحاديث الصحيحة في استسقاء رسول الله ﷺ بالصلاة وبالدعاء»(٢).

وقال ابن قدامة: «صلاة الاستسقاء سنة مؤكدة، ثابتة بسنة رسول الله ﷺ، وخلفائه رضي الله عنهم»(٣).

(١) **قوله**: «**واجتناب المحارِم**»: أي الابتعاد عن المحرمات التي حرمها الله.

والمحرم: لغة: هو الممنوع(٤).

واصطلاحا: هو ما نهى الشارع عن فعله على سبيل الحتم والالزام بحيث يثاب تاركه امتثالا، ويستحق فاعله العقاب(٥).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٠٥)، ومسلم (٨٩٥).

(٢) انظر: الأم، للشافعي (١/ ٢٨٢)، والمجموع (٥/ ٥٠).

(٣) انظر: المغني (٣/ ٣٣٤).

(٤) انظر: لسان العرب، مادة «حرم».

(٥) انظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار (١/ ٣٨٦-٣٨٧).

والاحتراز من النميمة (١)، ....

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ»(١).

(١) **قوله**: «**والاحتراز من النميمة**»: أي من الوقوع في النميمة، والنميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم(٢).

وهي من كبائر الذنوب.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١٠-١١].

قال ابن كثير: «يعني: الذي يمشي بين الناس، ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الحالقة»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١١٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٩١).

....

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَعْضِ حِيطَانِ المَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا بِكِسْرَتَيْنِ أَوْ ثِنْتَيْنِ، فَجَعَلَ كِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، وَكِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»(١).

وعن حُذَيْفَةَ ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»(٢)، أي نمام كما في لفظ آخر(٣).

وقال الغزالي: «اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول: فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا، وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أبو بالكتابة، أو بالرمز، أو بالإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال، أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيبا ونقصا في المنقول عنه، أو لم يكن بل حقيقة النميمة إفشاء السر، وهتك الستر عما يكره كشفه بل كان ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٥).

وَالكذب (١)، ....

المشهود له، فأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء للسر، فإن كان ما ينم به نقصا وعيبا في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة، فالباعث على النميمة إما إرادة السوء للمحكي عنه، أو إظهار الحب للمحكي له، أو التفرج بالحديث، والخوض في الفضول والباطل»[1].

(١) **قوله**: «**وَالكذب**»: الكذب كبيرة من الكبائر؛ لحديث عَبْدِ الله بنِ مَسعودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا»[2].

قال العلماء: «معناه: أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم، والبر اسم جامع للخير كله.

وقيل: البر الجنة، ويجوز أن يتناول العمل الصالح والجنة.

وأما الكذب فيوصل إلى الفجور وهو الميل عن الاستقامة.

وقيل: الانبعاث في المعاصي»[3].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ١٥٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٦٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(١).

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(٢).

قال النووي: «معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار.

وقوله ﷺ: «كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا» معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال.

قال بعض العلماء: وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلا فيه، فهذا هو المختار»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ٤٧).

والغِيبة (١)، ....

وقال الغزالي: «اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره، فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا»[١].

(١) **قوله**: «**والغِيبة**»: الغيبة كبية من الكبائر.

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجُرات:١٢].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ[٢]»[٣].

قال الحافظ ابن حجر: «ذكر المرء بما يكرهه سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه، أو خلقه، أو خلقه، أو ماله، أو والده، أو ولده، أو زوجه، أو خادمه، أو ثوبه، أو حركته، أو طلاقته، أو عبوسته، أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته باللفظ، أو بالإشارة والرمز»[٤].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (٣/ ١٣٧).

(٢) أي رميته بالباطل.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٩).

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٤٦٩).

وَالبَغي بِغَيْر الحق (١)، وَأَن يُقَال على الله مَا لَا يعلم (٢) ....

قال الحافظ ابن كثير: «الغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة»[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا[٢]، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[٣].

(١) **قوله**: «**والبَغي بغَيْر الحق**»: أي أن يبغي على الناس بغير الحق[٤]؛ والبغي هو التعدي على الناس[٥].

(٢) **قوله**: «**وأن يقال على الله ما لا يعلم**»: أي من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولدا ونحو ذلك، مما لا علم لكم به[٦].

لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٧٧).

(٢) وَلَا تَدَابَرُوا: أي لا يعرض أحدكم بوجهه عن أخيه، ويولِّه دبره استثقالا، وبغضا له.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٠٣).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٠٩).

(٦) انظر: السابق (٣/ ٤٠٩).

كل هَذَا كَبَائِر مُحرمَات(١).

[٤٥] والتحري فِي المكاسب، والمطاعم، والمحارم والمشارب، والملابس، وَاجْتنَاب الشَّهَوَات، فَإِنَّهَا دَاعِيَة لركوب الْمُحرمَات، فَمن رعى حول الحمى فَإِنَّهُ يُوشك أَن يواقع الحمى (٢).

---

(١) **قوله**: «**كل هذا كَبَائِر مُحرمات**»: كبائر جمع كبيرة، وهي ما اقترن بالنهي عنه وعيد من لعن أو غضب أو عقوبة، وترتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة(١).

(٢) **قوله**: «**والتحري فِي المكاسب، والمطاعم، والمحارم، والمشارب، والملابس، واجْتنَاب الشَهَوات، فإِنها داعِيَة لركوب المحرمَات، فمن رعى حول الحمى فإنه يوشك أن يواقع الحمى**»: فعلى العبد أن يتحرى في المكسب، والمطعم، والمشرب، فلا يكسب إلا حلالا، ولا يطعم إلا حلالا، ولا يشرب إلا حلالا، ولا يلبس إلا حلالا؛ وعليه أن يجتنب الشهوات المحرمة؛ لأن الاقتراب من هذه الأمور سبب للوقوع فيها؛ فإذا اقترب منها وقع في الموضع الذي حظره الله ومنع الاقتراب منه.

فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ

---

(١) انظر: الداء والدواء، لابن القيم، صـ(٢٩٢-٢٩٣).

....

فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»[١].

❑ ❑ ❑

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

[الخاتمة]

[٤٦] فَمن يُسِّر لِهَذَا فَإِنَّهُ من الدّين على هدى، وَمن الرَّحْمَة على رَجَاء (١).

[٤٧] ووفقنا الله وَإِيَّاك إِلَى سَبيله الأقوم (٢)، بمنِّه الجزيل الأقدم (٣)، وجلاله العلي(٤) الأكرم (٥)، وَالسَّلَام عَلى من قَرَأَ علينا السَّلَام (٦)، ....

(١) **قوله**: «**فمن يسِّر لهَذَا فإنَّه من الدّين على هدى، ومن الرَّحمة على رجاء**»: أي من يسر الله له المحافظة على الواجبات واجتناب المحرمات التي ذكرتها فهو على الهدى والحق المبين، وقريب من رحمة الله سبحانه وتعالى.

(٢) **قوله**: «**ووفقنا الله وإيَّاك إلى سَبيله الأقوم**»: هذا دعاء من المصنف رحمه الله تعالى أن يوفقه والمخاطَب إلى طريق الله القويم وصراطه المستقيم؛ كما قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦].

(٣) **قوله**: «**بمنِّه الجزيل الأقدم**»: أي بفضله سبحانه وتعالى العظيم الأزلي.

(٤) **قوله**: «**وجلاله العلي**»: أي مكانته العظيمة العالية؛ كما قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن:٧٨].

(٥) **قوله**: « **الأكرم**»: الأكرم: هو أكرم الأكرمين لا يوازيه كريم، ولا يعادله فيه نظير(١)؛ كما قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق:٣].

(٦) **قوله**: «**والسَّلام على من قرأ علينا السَّلام**»: أي من سأل لنا السلامة من الشرور والآفات فعليه السلام.

والسلام له معنيان:

---

(١) انظر: شأن الدعاء، للخطابي، صـ (١٠٣-١٠٤).

وَلَا ينَال سَلام الله الضَّالّين (١)، وَالحَمْد لله رب العَالمين (٢).

[٤٨] نجزت الرسَالَة (٣) بِحَمْد الله وَمَنِّهِ، وصلواته على مُحَمَّد وَآله (٤) ......

أحدهما: التحية.

والثاني: السلامة من الآفات والشرور(١).

(١) قوله: «ولا ينال سلام الله الضالين»: أي لا يسلِّم الله ﷻ الضالين عن الطريق المستقيم من الأهوال والشرور في الدنيا والآخرة.

(٢) قوله: «والحمد لله رب العالمين»: العالمين: جمع عالَم، وهو كل ما سوى الله تعالى(٢)، كعالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الإنس، وعالم الحيوان، وعالم النبات.

(٣) قوله: «نجزت الرسالة»: أي عَجَّلتُ ووفيتُ بها(٣).

(٤) قوله: «بحمد الله ومنه، وصلواته على محمد وآله»: أي بالثناء على الله، وبفضله، وثنائه على رسوله ﷺ، وآله.

والمراد بالآل هنا: هم أهل بيت النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب وبني عقيل، ومن اتبعه ﷺ من المؤمنين.

قال الإمام النووي: «اختلف العلماء في آل النبي ﷺ على أقوال أظهرها، وهو اختيار الأزهري وغيره من المحققين: أنهم جميع الأمة.

والثاني: بنو هاشم وبنو المطلب.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، مادة «سلم».

(٢) انظر: السابق، مادة «علم».

(٣) انظر: كتاب العين، مادة «نجز».

وَأَصْحَابه(١) وأزواجه الطاهرات (٢)، وَسلِّم كثيرا كثيرا (٣).

والثالث: أهل بيته ﷺ»[١].

(١) قوله: «وأصحابه»: جمع صاحب، والصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك[٢].

(٢) قوله: «وأزواجه الطاهرات»: أي العفيفات النقيات من العيوب[٣].

(٣) قوله: «وسلم كثيرا كثيرا»: أي اللهم سلِّم النبي ﷺ، وآله، وأزواجه، وأصحابه من الآفات والشرور ؛ وهذا امتثال لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

تم الشرح، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (٤/ ١٢٤).

(٢) انظر: نزهة النظر، لابن حجر العسقلاني، صـ(١١١).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، مادة «طهر».

الأسئلة والمناقشة

في ضوء دراستك لكتاب «تمام المنة على شرح السنة» للإمام المزني أجب عن الأسئلة الآتية:

١. ماذا تعرف عن الإمام المزني؟

٢. ما سبب تأليف هذه الرسالة؟

٣. ما المقصود بـ «شرح السنة»؟

٤. ما أهم الموضوعات التي اشتملت عليها هذه الرسالة؟

٥. القياس ثلاثة أنواع. وضح ذلك.

٦. ما الفرق بين الحمد والشكر؟

٧. اذكر الأدلة على علو ذات الله تعالى على عرشه.

٨. ما هي مراتب الإيمان بالقضاء والقدر التي ذكرها المصنف رحمه الله؟

٩. اذكر جملة من وظائف الملائكة عليهم السلام التي ذكرها المصنف.

١٠. الإيمان قول وعمل. وضح ذلك.

١١. اذكر أقوال الناس في الإيمان.

١٢. اذكر الأدلة على تفاضل الناس في الإيمان.

١٣. اذكر أقوال الناس في مرتكب الكبيرة.

١٤. ما حكم الشهادة بالجنة أو بالنار لمعين؟

١٥. القرآن كلام الله غير مخلوق. وضح ذلك.

١٦. ما حكم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؟

١٧. من هم الواقفة؟ وما حكمهم؟

١٨. اعرض لصفات الله تعالى كما عرضها المصنف رحمه الله.

١٩. كيف يتلذذ أهل الجنة في الجنة؟ وكيف يعذب أهل النار في النار؟

٢٠. ما هي الأدلة على رؤية الله يوم القيامة؟

٢١. ما هي الأدلة التي استدلت بها المبتدعة على نفي رؤية الله يوم القيامة؟ وبم ترد عليهم؟

٢٢. ما حكم تكفير فساق أهل القبلة؟

٢٣. تكلم عن صحابة النبي ﷺ كما تكلم عليهم المصنف رحمه الله.

٢٤. تكلم عن حكم الصلاة وراء الأئمة، والحج والجهاد معهم.

٢٥. الجهاد قسمان. وضح ذلك.

٢٦. ما حكم القصر والفطر في السفر؟

٢٧. تكلم عن الفرائض والمناهي التي ذكرها المصنف رحمه الله.

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والهداية

❑ ❑ ❑

المصادر والمراجع

١. الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا معطي، وآخرين، طبعة: دار الراية- الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥م.

٢. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، طبعة: دار المعرفة – بيروت.

٣. الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، اختارها علاء الدين أبو الحسن البعلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: دار الاستقامة- مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥م.

٤. إرواء الغليل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ.

٥. الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠م.

٦. الاستقامة، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

٧. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن

تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، طبعة: دار عالم الكتب- بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٨. الإقناع لطالب الانتفاع، لشرف الدين موسى بن أحمد الحجاوي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: عالم الكتب- الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م.

٩. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، طبعة: دار الوفاء- مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.

١٠. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ،١٩٨٣م.

١١. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: دار باوزير- جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

١٢. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة- الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٣. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن

المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، طبعة: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ.

١٤. تفسير البغوي «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبعة: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

١٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، طبعة: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، طبعة، ١٣٨٧ هـ.

١٦. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٧. الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي»، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبعة: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٨. الجواب الصحيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، وآخرين، طبعة: دار العاصمة- السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ،

١٩٩٩م.

١٩. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١هـ)، طبعة: مطبعة المدني- القاهرة.

٢٠.الداء والدواء، «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت ٧٥١هـ)، حققه: محمد أجمل الإصْلَاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، طبعة: مجمع الفقه الإسلامي- جدة، وطبعة: دار عالم الفوائد- جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.

٢١.رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: د.عبد الله شاكر محمد الجنيدي، طبعة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ.

٢٢.الرسالة التدمرية «تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع»، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، طبعة: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٣.الروض المربع شرح زاد المستقنع، للشيخ منصور بن يونس البهوتي (ت ١٠٥١هـ)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، طبعة: مدار الوطن- الرياض،

الطبعة: الثانية، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠م.

٢٤. السلسلة الصحيحة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢م.

٢٥. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٢٦. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٧. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، طبعة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م.

٢٨. سنن النسائي الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

٢٩. سنن النسائي الصغرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة: مكتب

المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

٣٠. السنة، لابن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ)، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة: المكتب الإسلامي– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.

٣١. السنة، لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، طبعة: دار ابن القيم– الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

٣٢. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

٣٣. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، طبعة دار السلام– مصر، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٣٤. سير أعلام النبلاء، للذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة– بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.

٣٥. شأن الدعاء، للخطابي، أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت ٣٨٨هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، طبعة: دار الثقافة العربية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.

٣٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد

العَكري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، طبعة: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.

٣٧. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٣٨. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (ت ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، طبعة: دار طيبة – الرياض، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٣٩. شرح صحيح مسلم «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، للنووي أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٤٠. شرح الكوكب المنير، لابن النجار تقي الدين أبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي (ت ٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، طبعة: مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٤١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.

٤٢. صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري

(ت ٢٥٦ هـ)، ترقيم عبدالباقي، طبعة: دار الشعب- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٤٣. صحيح الجامع، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤٤. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (ت ٢٦١ هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤٥. صحيح وضعيف سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٦. صحيح وضعيف سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٧. صحيح وضعيف سنن النسائي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٨. صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٤٩. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي

(ت ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، طبعة: هجر- مصر، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٥٠. العرش، للإمام الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، طبعة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م.

٥١. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، للإمام الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبد المقصود، طبعة: مكتبة أضواء السلف – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٥٢. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، طبعة: دار ومكتبة الهلال.

٥٣. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد (ت ٧٢٨هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٥٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢)، طبعة: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٥. فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، طبعة: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – بيروت، الطبعة:

الأولى، ١٤١٤ هـ.

٥٦. الفروسية، لابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، طبعة: دار الأندلس- السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م.

٥٧. الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، طبعة: دار العلم.

٥٨. القاموس المحيط للفيروز آبادي، طبعة الهيئة المصرية للكتاب.

٥٩. الكتاب، لسيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.

٦٠. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للإمام محمد على التهانوي، طبعة: مكتبة لبنان ناشرون- بيروت ١٩٩٦م.

٦١. كشاف القناع عن الإقناع، للشيخ العلامة منصور بن يونس البهوتي الحنبلي (ت ١٠٥١هـ)، تحقيق: لجنة متخصصة في وزارة العدل- السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٦٢. كشف الكربة في وصف أهل الغربة، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، طبعة: الفاروق- مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م.

٦٣. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ)،

طبعة: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٦٤. لمعة الاعتقاد، للإمام ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي (ت ٦٢٠هـ)، طبعة: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٦٥. المجموع، للإمام النووي أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، طبعة: دار عالم الكتب، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٦٦. مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ)، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

٦٧. مدارج السالكين لابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، طبعة: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م.

٦٨. مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م.

٦٩. مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

٧٠.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار)، طبعة: دار الدعوة- مصر.

٧١.معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، طبعة: دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م.

٧٢.المغني لابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. محمد الحلو، طبعة: عالم الكتب- بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧م.

٧٣. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، طبعة: دار القلم، الدار الشامية- دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

٧٤.مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: دار الفكر- بيروت، طبعة: ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٧٥.مقدمة ابن الصلاح «معرفة أنواع علوم الحديث»، لابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، طبعة: دار الفكر- سوريا، ودار الفكر المعاصر – بيروت، طبعة: ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٧٦.المطلع على أبواب الفقه، للإمام محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي (ت ٧٠٩هـ)، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، طبعة: المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠١ هـ، ١٩٨١هـ.

٧٧. مناقب الشافعي، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة: دار التراث- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠م.

٧٨. النبوات، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، طبعة: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م.

٧٩. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، مطبعة: الصباح- دمشق الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠م.

٨٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، طبعة: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٨١. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طبعة: دار القلم ، الدار الشامية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٨٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة: دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.

❑ ❑ ❑

الفهرس

الخلق عاملون بسابق علم الله

الخلق نافذون لما خلقهم له من خير وشر

مشيئة الله

مراتب الإيمان بالقدر أربعة

المرتبة الأولى: العلم

المرتبة الثانية: الكتابة

المرتبة الثالثة: المشيئة

المرتبة الرابعة: الخلق

الإيمان بالملائكة

الملائكة جبلت على الطاعة

من وظائف الملائكة حمل العرش

من وظائف الملائكة التسبيح حول العرش

من وظائف الملائكة تحميد الله وتقديسه

اختار الله من الملائكة رسلا

من وظائف الملائكة تدبير بعض أوامر الله، فمنهم الموكل بالصور

ومنهم الموكل بحفظ العبد

ومنهم الموكل بقبض الأرواح

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر

ومنهم الموكلون بفتنة القبر

ومنهم خزنة الجنة

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم وفي يوم القيامة

ومنهم خزنة جهنم

ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم

ومنهم الموكل بالجبال

خلق آدم ﷺ وابتلاؤه

الأصل أن الله خلق آدم للمكث في الأرض

نهي الله آدم عن الأكل من شجرة الخلد

فائدة: أقسام القضاء

أهل الجنة وأهل النار

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

تعريف الإيمان لغة وشرعا

فائدة: إذا عدي الإيمان في النصوص الشرعية باللام صرف إلى المعنى اللغوي، وإذا عدي بالباء صرف إلى المعنى الشرعي.

الإيمان يتضمن أربعة أركان

قول القلب

قول اللسان

عمل القلب

عمل اللسان والجوارح

لا إيمان إلا بعمل

تفاضل المؤمنين فيما بينهم في الإيمان والأعمال

العرض والحساب

الميزان

نشر الصحف

من تمام عدل الله أنه هو الذي يتولى الحكم بنفسه

سرعة الحساب

حال أهل الجنة في الجنة

حال أهل النار في النار

الواجب علينا نحو ولاة الأمور

وجوب طاعة ولاة الأمور

فائدة: طاعة ولاة الأمور قسمان

حرمة الخروج على الحكام

ماذا يفعل المسلمون لكي يعطف عليهم الإمام؟

الإمساك عن تكفير أهل القبلة

حد الخروج من الدين

فائدة: البدعة قسمان

الاعتقاد في الصحابة ﭫ

أفضل الصحابة تفصيلا والأدلة على ذلك

الواجب نحو الصحابة ﭫ

الصلاة وراء الأئمة والجهاد معهم والحج

من حقوق الحكام علينا الصلاة والحج معهم